«الجوبة»

ملف ثقافي يصدر عن مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية بالجوف
العدد (١) العقرب ١٣٦٩هـ . ش - نوفمبر ١٩٩٠م

١

«الجوبة»

إصدار ثقافي

عن

المجلس الثقافي بمؤسسة عبدالرحمن السّديري الخيرية

ربيع الآخر ١٤١١هـ.



نوفمبر ١٩٩٠م.

« الجوبة هي الحفرة أو المكان الوطيء في جَلَدْ
وإصطلاحا هي من الأسماء التي كانت تطلق
على منطقة الجوف سابقاً »

«الجوبة»

ملف نصف سنوي متخصص في قضايا الأدب والثقافة

الناشر : مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية

العدد الأول **العقرب ١٣٦٩هـ . ش - نوفمبر ١٩٩٠م**

خطـة النشـر

- يشترط في المواد المراد نشرها :

١ - أن يكون في إطار تخصص الملف .

٢ - لم يسبق نشرها .

٣ - تعتمد الجديه والموضوعية .

٤ - تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها .

٥ - يتم ترتيب المواد تبعا لأمور فنية .

٦ - لا يجوز إعادة نشر أية مادة من مواد الملف كاملة إلا بموافقة مسبقه من الناشر .

* المراسلات الخاصة بالتحرير توجه باسم سكرتير التحرير ، هاتف ٠٤/٦٢٤٥٩٩٢ ، فاكس ٠٤/٦٢٤٧٧٨٠ .
* المراسلات الخاصة بالإشتراكات توجه باسم مساعد المدير العام هاتف ٠٤/٦٢٤٧٤٥٢ ، فاكس ٠٤/٦٢٤٧٧٨٠ .
* عنوان الملف : الجوبة ص.ب ٤٥٨ الجوف - المملكة العربية السعودية .



في هذا العدد

الصفحة

كلمة

مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية

زياد بن عبد الرحمن السديري

بتوفيق من الله وبدعم ومشاركة المخلصين من الجوف وخارجه ، تستمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية بأداء رسالتها الثقافية التي رسمها لها مؤسسها . ويوما بعد يوم تقوم هذه المؤسسة الخيرية إن شاء الله بتنفيذ الأهداف التي نص عليها في نظامها الأساسي . واليوم نبدأ بمباشرة أحد هذه الأهداف ألا وهو نشر هذا الملف الثقافي الأدبي الذي أسميناه « الجوبة » نسبة إلى اسم قديم لمنطقة الجوف .

الجوبة منشور شارك في تطوير مفهومه ورسم إطاره العام وتسميته وإعداده نخبة من زملائي أعضاء المجلس الثقافي في مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية . وقد اتفق الجميع منذ البدء على أن الطابع المناسب « للجوبة » هو الطابع الثقافي الأدبي وذلك قياساً على طبيعة هذه المؤسسة الخيرية التي يسيطر عليها الطابع الثقافي ابتداء بمكتبتها العامة وانتهاء بندواتها ومحاضراتها الشهرية . وغلب الرأي القائل بأن المطلوب من « الجوبة » هو أن تكون منشورا ثقافياً لا إخبارياً ، وجاداً لامرفهاً . وانتهينا إلى الاقتناع بأن العبرة هي بالنوعية لا بالكمية والاتجاه إلى تضمين هذا المنشور عددا محدودا من الكتابات الجادة حول مواضيع يستحسن أن تكون جديدة أو على الأقل غير مكررة في شتى مجالات المعرفة وبأقلام هي محل احترام القارىء . وعلى هذا الأساس اتجهنا إلى تجهيز العدد الأول من « الجوبة » وكاتبنا أصدقاءنا الكثيرين الذين شرفونا بمشاركتهم في نشاطات المؤسسة وندواتها الثقافية ، كما راسلنا عددا آخر من الكتاب وطلبنا منهم المشاركة في إكمال هذا العدد الأول وفق الخطة والبرنامج الذي أوضحناه لهم . وبين مجيب وغائب ، وواعد ومعتذر مضت الأيام وأجلت المواعيد . وأخيراً أنبئنا بأسبوع الجوف وبجائزة معالي الأمير عبد الرحمن السديري للتفوق العلمي التي أقرها معالي الأمير سلطان بن عبد الرحمن السديري . وشعرنا بأن هذه مناسبة رائعة لنشر العدد الأول من « الجوبة » وقررنا بأن

طبيعة هذا المنشور الدورية لا تسمح بتأجيل مواعيد النشر ، وأنه ربما لا بد من البدء بالنشر حتى نحظى بإهتمام الكتاب . وعلى ذلك توكلنا على الله وسرنا في نشر هذا العدد الأول بما يتيسر لنا من مواضيع أكثرها محاضرات سبق تقديمها ضمن نشاطات المؤسسة الثقافية .

ومع أخذ ما أشرت إليه في الفقرة السابقة بالاعتبار ، فهذا العدد الأول يعكس المنهج الذي تتأمل المؤسسة وأعضاء المجلس الثقافي في اتباعه في المستقبل إن شاء الله . « الجوبة » ستنشر إن شاء الله ، بصفة دورية نصف سنوية في بداية الأمر وستحتوي في جوهرها خمس مقالات جديدة وباب عن أحد المواضيع التي تهم الجوف وآخر عن نشاطات المؤسسة وما ورد إليها من الكتب إضافة إلى قصيدة أو قصة قصيرة مختاره . وكل ما نسعى إليه هو أن يكون فيما تحتويه « الجوبة » مادة تشد اهتمام القارىء وتشحذ تفكيره وتركيزه حول المواضيع مدار البحث . ونحن لا نتوقع أن تكون جميع هذه المواضيع التي هي وليدة كاتبها ومرآة رأيه الخاص ، محل قبول أو موافقة كل قارىء وإنما نتطلع إلى أن تكون هذه الكتابات من الجدية والموضوعية بمكان .

لقد من الله على هذه البلاد بنعم كثيرة ربما أهمها ، كما تؤكد الأحداث يومياً هو الاستقرار . فالمملكة العربية السعودية ودول الخليج ليست الوحيده في العالم العربي أو العالم الثالث التي تتوفر فيها الثروات الطبيعية . فكم من دولة يتوفر بها البترول وغيره من الإمكانيات الكبيرة وما زال أهلها يعانون من الفقر والعوز والاضطهاد . مما لا شك فيه أن تجربتنا في هذه البلاد الكريمة فريدة من نوعها في هذا العالم الثالث الذي اشتهر بعدم الاستقرار وبالكوارث والمحن . اليوم ونحن نواجه الأحداث التي استجدت على أثر غزو العراق للكويت وتهديده الواضح لنا يلزم علينا أن نراجع أنفسنا وأن نتبين مصادر قوتنا التي مكنتنا بمشيئة الله من تحقيق ما ننعم به من مكاسب وما نتميز به من أمن استقرار ، وأن نتمعن فيما يمكن أن يكون مصدر الضعف ومبعث القلق . وكفى المرء فخرا أن تعد معايبه . ولعلي أقول إن أحد أهم ما نتميز به بعد محافظتنا على ديننا وتقاليدنا هو خلو مجتمعنا بشكل عام من العقد ومن الفجوات التي تطغى في المجتمعات الأخرى ، وبعدنا عن التطرف والغوغائية ، وإكبارنا للعقل والحكمة في معالجة الأمور . وفوق هذا وما ننعم به من رخاء فنحن نسير بإضطراد في طريق تنمية الفرد وتطوير إمكانياته الذاتية مما يزيد من فعاليته ومن مقدرته على العطاء يوما بعد يوم . وبالمقابل ، فنحن نعيش في عالم سمته الأولى هي التجدد المستمر ، وسرعة الاتصالات وإختلاط الثقافات . فكيف نكون من هذا العالم وما يشكله من تحديات ؟ وكيف نتعامل مع هذه الثقافات وهذه المتغيرات ؟

« والجوبة » وليدة لكل هذه المعطيات ومرآة لها ، وهي ستسعى إن شاء الله دائما وبمشاركتها الصغيرة في خدمة هذا المجتمع الكريم ودعم قوته ومصادر عزته . ولكننا نعلم أن حسن النوايا لا يكفي عن العمل الجاد . وأن العمل ، خاصة

المبتدىء منه ، لا يخلو من الثغرات والأخطاء . ولا كَمال إلاّلِوجه الله عز وجل . لذا فنحن نتقدم إلى قارئنا العزيز في باكورة إنتاجنا طالبين منه التوجه إلينا بكل رأي وتوجيه سديد يساندنا على تجاوز أخطائنا وتحسين ادائنا لما فيه مصلحة الجميع .

ختاما لا يفوتني أن أشكر جميع من شاركوا من أعضاء المجلس الثقافي في تجهيز هذا العدد وفي وضع أسس « الجوبة » كما أشكر جميع الكتاب الذين شاركوا في هذا العدد سواء بكتابه موضوع خاص بهذا العدد أو الموافقة على نشر محاضرة سابقة لهم .

والله ولي التـوفيـــق

قصة ملف « الجوبة »

هذا الملف من تلك الدار

د. عبد الواحد الحميد
عضو المجلس الثقافي
أستاذ الاقتصاد بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران

لكي نروي قصة ملف « الجوبة » لا بد أن نعود بالذاكرة إلى البدايات الأولى لهذه الدار الثقافية التي يصدر عنها الملف . وليس المطلوب هنا ، أن نقدم سردا تاريخيا عن إنشاء « دار الجوف للعلوم » والمراحل التي مرت بها ، والإمكانات المتقدمة التي تضمها .. فهذه المعلومات تحفل بها مطبوعات الدار التي تقدم تعريفا وافيا عن كافة هذه الجوانب .

والواقع أن كلا منا يحمل قصته الخاصة عن دار الجوف للعوم ، وإذا كان البعض يعرف هذه الدار من خلال إمكاناتها الحالية - بما في ذلك المكتبة الغنية التي تضم ما يزيد على الخمسين ألف كتاب والعديد من الدوريات - فإن البعض الآخر سرعان ما تعود به الذاكرة إلى ما يقارب ثلاثين عاما ، وبالتحديد إلى عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٢م ، عندما وضعت اللبنات الأولى لهذه الدار .

وكانت معرفتي بها قد بدأت - على وجه التقريب - في نهايات الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية) عندما كنت تلميذاً بالمرحلة المتوسطة ، وكانت هذه الدار لا تزيد عن أن تكون قاعة مستطيلة الشكل ومغطاه بالرفوف التي تحتوي على بعض الكتب والمجلات والجرائد . وكان الموظف الوحيد المسئول عن هذه المكتبة - واسمه محمد عارف بدر - يقتعد كرسيا أمام مكتب متواضع ، ويتحفز للإجابة عن أسئلة المرتادين الذين يتحلقون حول ثلاث طاولات محاطة بالرفوف المحملة بالكتب .

ولا أبالغ حين أقول إن شعوري في ذلك الوقت ، عندما اكتشفت بالصدفة تلك المكتبة ، كان مزيجا من الدهشة أن يحتوي العالم كل هذا القدر من الكتب ، والسعادة أن تكون هذه الكتب - جميعا !! - متاحة للقراءة في هذه القاعة القابعة في أطراف مبنى المستشفى (القديم) أمام المدرسة الابتدائية الجنوبية (المدرسة العزيزية حاليا) ... وهي قاعة كانت تبدو في عيني أكبر

من مكتبة الكونجرس بواشنطن رغم أن مساحتها لم تكن تتجاوز خمسين إلى مائة متر مربع ! في تلك المكتبة حيث ترتفع لافته كتب عليها « مكتبة الثقافة العامة بالجوف » ، تعرفت على عالم واسع يبدأ من « كليلة ودمنه » و « ماجدولين » وينتهي بـ « الشيخ والبحر » و « زوربا اليوناني » وكتب أخرى كانت تأخذنا إلى عوالم بعيده عن دنيانا الموغله في البساطه ... وأظن أن جيلا عريضا – بل أجيالاً عديده – من أبناء المنطقة ولجوا عالم المعرفة ، والفكر ، والقراءة الحرة من أبواب تلك المكتبة التي كانت هي المكتبة الوحيدة في المنطقة إذا ما استثنينا بعض المكتبات الخاصه القليلة والمكتبات المدرسية المتواضعة حيث لا تزيد محتويات أي منها عن دولاب وحيد تتناثر على أرففه مطبوعات قليله من وزارة الإعلام وأرامكو وغيرهما .

تلك هي البدايات الأولى التي تظل – بتفاصيلها الصغيرة محفورة بالذاكرة حتى بعد أن تحولت « مكتبة الثقافة العامة بالجوف » إلى « دار الجوف للعلوم » بكل ما تحتويه من إمكانات ضخمة متاحة لأبناء المنطقة وللزوار من خارجها .

أما الواقع الذي آلت إليه هذه المؤسسة الثقافية الرائدة – بجهد خاص من مؤسسها معالي الأمير عبد الرحمن السديري فإنه يتكلم عن نفسه من خلال المنشآت والإمكانات القائمة التي أصبحت جزءا من مؤسسة أكبر هي « مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية » .

ولعل نظرة سريعة إلى النشاط المنبري – وحده – والذي يمثل بعضا من أنشطة الدار تبين لنا حجم الإنجاز الذي حققته هذه المؤسسة الثقافية التي أصبحت تضاهى الكثير من الأندية الثقافية في المدن الكبرى بالمملكة .

فعلى سبيل المثال استضافت الدار عددا من الرموز الثقافية في الساحة السعودية أمثال علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد الله بن خميس والأستاذ عبد الله بن إدريس ، واستضافت مجموعة من أبرز النقاد في المملكة ، منهم : الدكتور عبد الله الغذامى والدكتور سعد البازعى والدكتور عبد الله الحامد والأستاذ سعيد السريحي والدكتور منصور الحازمى والدكتور حسن الهويمل . كما استضافت عدداً كبيراً من الكتاب وصانعي الرأي في بلادنا ومنهم : الدكتور هاشم عبده هاشم ، والدكتور فهد العرابي الحارثي ، والدكتور حمد المرزوقي ، والأستاذ فهد العريفي والأستاذ عبد الفتاح أبو مدين والأستاذ عبد الرحمن السدحان . واستضافت عدداً كبيراً من الشعراء وكتاب القصة والفنانين ومنهم : الأستاذ محمد هاشم رشيد والأستاذ عبد الرحمن رفيع والدكتور عبد الحليم رضوى والدكتور عبد الرحمن العشماوي والأستاذ أحمد عائل فقيه والأستاذ معيض البخيتان والأستاذ محمد الفايز والدكتور أنور عبد المجيد الجبرتي والأستاذ عبد الرحمن الدرعان وغيرهم .

وإذا كان من المتعذر أن نورد – في هذه العجالة – كافة الأسماء التي استضافتها دار الجوف للعلوم فإن الانطباع الذي يتولد في الذهن عند

استعراض هذه الأسماء هو أن الدار حافظت على أن تكون منبراً محايداً يتيح الفرصة المتكافئة لكافة التيارات الفكرية في بلادنا ضمن الإطار الذي لا يتعارض مع قيمنا المبدئية . كما أن الدار استطاعت أن تغطي مجالاً واسعاً من الاهتمامات التي شملت قضايا الدين والأدب والطب والتاريخ والآثار والتربية والاقتصاد والزراعة والصحافة وغير ذلك .

أما تفصيل ما تحفل به الدار من إمكانيات ، وما قامت به من أنشطة ، والدور الذي تلعبه لإثراء الحياة الثقافية في المنطقة والنظرة الشمولية لمعنى الثقافة على صعيد الممارسة بالنسبة للدار ، فإن ذلك يحتاج إلى وقفة طويلة تتجاوز إطار هذه المقالة السريعة ، ومع ذلك فإنني أستميح القارىء عذرا في الوقوف سريعا أمام الجهد المتميز الذي تقدمه الدار لخدمة المرأة في منطقة الجوف ، وهو دور تنفرد به الدار بالمقارنة مع المؤسسات الثقافية الأخرى المشابهة على امتداد رقعة الوطن . فلقد قررت الدار منذ البداية ، أن تمنح المرأة دوراً مساويا للرجل في الوصول إلى مصادر الثقافة المتنوعة ، ولهذا فإن « دار الجوف للعلوم » – في واقع الأمر – هي أكثر إتساعاً وإمتداداً من الأقسام التي يشاهدها الزائر عند تجواله بالدار إذ إنها تضم قسما نسائيا يتساوى في المساحة والإمكانيات مع القسم المخصص للرجال ، كما أن جميع الكتب الموجودة في قسم الرجال وقسم النساء متاحة لكل زائر في أي من القسمين من خلال فهرس البطاقات الموحد .

كما أن الدار تقيم نشاطا ثقافيا منبريا للمرأة تستضيف فيه الأسماء البارزة والمعروفة من الجنسين ، وتنقل عبر الدائرة التليفزيونية المغلقة النشاطات الثقافية المنبرية من قسم الرجال . بل أن نشاطات الدار المتعلقة بالمرأة تتعدى ذلك إلى إقامة دورات التدريب المختلفة في شتى الحقول التي تتناسب واهتمامات المرأة بالمنطقة .

تلك هي الخلفية التي لا بد من ذكرها ونحن بصدد الحديث عن قصة هذا الملف : « الجوبة »(*) وقد أرادت الدار أن تصدر هذا الملف متزامنا مع مناسبة جائزة معالي الأمير عبد الرحمن السديري للتفوق العلمي وغامرت بأن تكون تجربتها الأولى محاطه بالعديد من الظروف الصعبة التي يأتي في مقدمتها الظرف الزمني المحدود لإصدار الملف لكي يأتي متزامنا مع هذه المناسبة .

وقد تداول أعضاء « المجلس الثقافي » للدار العديد من الخيارات المطروحة للملف من حيث الشكل والمضمون . وكان الهاجس الرئيسي في أذهان الجميع خلال هذه المداولات هو أن يحمل الملف إضافة متميزة إلى واقعنا الثقافي .

ومنذ البداية كان من الواضح أن حجم الطموحات أكبر من الإمكانات خصوصا في ظل محدودية الزمن المتبقي أمام الصدور . وقد تم – سريعاً – استبعاد العديد من الخيارات التي لم يكن من المتاح تبنيها في ظل الظروف التي أشرنا إليها .

---

* الجوبة : أحد الأسماء التي تطلق على منطقة الجوف .

وفي النهاية ، استقر الرأى على أن تكون المعايير التي يتم الاحتكام إليها في خوض تجربة إصدار هذا الملف متضمنة - على الأقل - ما يلي :

- تنوع المادة في حدود القضايا التي تلتقي مع اهتمامات الوسط الثقافي محليا وعربيا .

- التوجه إلى القارىء المثقف غير المتخصص ، مع المحافظة على حد أدنى من جدية الطرح .

- مراعاة التقاليد العلمية في إجازة ما ينشر سواء من حيث الشكل أو المحتوي .

وقد اجتهد أعضاء « المجلس الثقافي » بالدار - إلى أقصى درجة ممكنة - في تطبيق هذه المعايير على الإصدار الأول من هذا الملف . ومع ذلك لابد من الإشارة إلى أن عدداً من الأصدقاء الذين وعدوا بالكتابة للملف قد خذلتهم الظروف ، وهي ظروف وإن بدت مقنعة ، فقد أربكت الخطط التي وضعت سلفا لهذا الإصدار لأنها جاءت في اللحظات الأخيرة .

وبالرغم من كل شيء فإن أعضاء « المجلس الثقافي » لا يخفون سعادتهم وهم يعلنون عن ولادة هذا الملف مع كل جوانب القصور التي لا تمنحهم إلا المزيد من الإصرار على الارتقاء به حتى يصل إلى المستوى المنشود .

تلك - باختصار شديد - هي قصة هذا الملف الثقافي الذي يحمل كل خصائص البدايات الأولى بما يكفي للتذكير بالبدايات الأولى لـ « دار الجوف للعلوم » نفسها والتي بدأت بمكتبة مكونة من غرفة واحدة وموظف واحد وانتهت إلى ما هي عليه الآن ... وهي مسيرة تفعم صدورنا جميعاً بالأمل في أن يحقق هذا الملف قفزات ترتفع به إلى مستوى طموحاتنا إن شاء الله .

أشهر أسواق العرب القديمة

العلامة/حمد الجاسر

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيها السادة : الآن وقد مر ما يقرب من ثماني عشرة سنة على أول يوم سعدت فيه بزيارة هذه المدينة الكريمة ، وهو اليوم العاشر من شهر صفر سنة ١٣٩٠ هـ (١٥ نيسان سنة ١٩٧٠م) لا تزال تتجلى في مخيلة ذاكرتي تلك الابتسامة المشرقة التي تعلو هذا الوجه السمح المتهلل بشرا وإنشراحاً ، ويرن في مسمعي صدى كلمات الترحيب الرقيقة المنبعثة من قلب مفعم بمعاني النُّبل والشيم العربية الحميدة ، بحيث لم أملك إزاء كل ذلك من أن أصاب بالتلعثم والحصر ، والاكتفاء بإنشاد البيت المشهور :

ومن أخبر الأعراب يوماً بيبته
فليرفع السقف حتى يدخل الجمل

ثم يسعدني الحظ مرة أخرى بعد سنوات باستجلاء هذا المحيا المشرق ويتم اللقاء عند أحد مداخل إحدى حدائق القصر من باب لا سقف فيه لينطبق مدلول التحية الثانية : (ارفع رأسك فإننا لا نجعل لأبوابنا سُقُفا تحجب الزائرين) ثم يتوالى العطف ويتواصل ، ليحقق ما عرف عن الرعيل الأول من كرماء العرب :

ونكرم ضيفنا ما دام فينا
ونتبعه الكرامة حيث كانا

إنني – أيها الإخوة الأحبة – لم أكن مجاملا حين قلت في إحدى المناسبات عن عمق إدراك : إن من سعادة البلاد – أيّ بلاد كانت – أن يتولى تصريف أمورها رجال ذوو صلة قوية بقادة الدولة ، ممن عرفوا بالوطنية الصادقة والكفاءة ، إذ في استطاعة هؤلاء عرض متطلبات البلاد بصدق ونزاهة ، فيستقبل القادة ذلك العرض أحسن استقبال ، وبذلك تستوفى حقوق تلك البلاد كاملة ، ولا أدلَّ على ذلك مما هو مشاهد من تقدم مظاهر الحياة جميعها في هذا الجزء الحبيب من بلادنا ، وقديما لمح الفاروق – وهو اللماح الموفق – هذا الأمر حين أراد تعيين أحد الأمراء ، فوصف له رجل قوي في تصرفه وفي جميع أموره ،

• محاضرة القيت بدار الجوف للعلوم .

وآخر كثير العبادة ، مع ضعف تصرفاته ، فاختار القوي قائلا ما معناه : لنا قوته ولذاك عبادته .

وها نحن نتفيأ أفنان دوحةٍ سامقةِ الأصل ، من غراس هذا الأمير الجليل ، تتجدد ثمارها اليانعة كل عام ممثلةً في هذه الندوات الثقافية التي تتناول مختلف جوانب المعرفة ، إنها إحدى ثمار (مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية) ولن أزيدكم عنها خبرا ، ففي المشاهدة ما يغني عن الخبر ، ولكنني اغتنمها مناسبة طيبة أعبر فيها عن عميق تقديري للقائمين على شؤونها وعلى رأسهم الأستاذ زياد بن عبد الرحمن السديري وكرام صحبه لإتاحة فرصة المشاركة في التحدث إليكم في موضوع قد يكون في حفلنا هذا من هو أولى بالتحدث فيه ، وحسبي أن أكون مشاركاً ومستمعاً ، ومستفيداً ، أشعر بسعادة غامرة بمشاهدة هذه الوجوه الكريمة .

١ - أشهر الأسواق القديمة :

من المعروف أن تاريخ العرب في العهود التي سبقت عصر الإسلام لا يزال محاطا بكثير من الغموض ، بل إن أكثره مجهول ، لأن المؤرخين عنوا بتدوين التاريخ الإسلامي وأهملوا ما عداه عن قصد ، بل رأوا في إبراز جوانب من ذلك التاريخ ما لا يُرتضى ، لما فيه من إحياء ذكر أمورٍ جاء الإسلام بالأمر باماتة كثير منها ، ومن ثم نظروا إلى المعنيين بأخبار العرب في جاهليتهم نظرةً تتسم بالاستخفاف وعدم الثقة بأقوالهم .

ومن هؤلاء هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤/٠٠٠) الذي عني عناية فائقة بتدوين أخبار الجاهليين ، وتفرد بدون شك بتسجيل أنساب العرب ، بما لا يضارعه أحدٌ في هذا الباب ، ولهذا اعتُبر إمامَ أهل النسب بدون منازع .

ولقد وصفه ياقوت الحموي حين استشهد بكلامه في تحديد أحد المواضع[١] بقوله حين أورد كلامه : ولله دَرُّهُ ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجة ، وهو مع ذلك مظلوم ، وبالقوارص مكلوم .

وعن هشام بن الكلبي هذا رُوِيَتْ أكثر الأخبار المتعلقة بأسواق العرب ، مما نقله ابن حبيب أحد تلاميذه في كتاب « المحبر »[٢] غير منسوب إليه ولكن المرزوقي في كتاب « الأزمنة والأمكنة » صرح بنسبته لأبي المنذر - وهو هشام[٣] .

وقد ألف المتأخرون مؤلفات حول الأسواق وكثرت الدراسات عنها ، ومع ذلك فكثير من الأمور المتعلقة بها بحاجة إلى دراسة أعمق .

ومعروف أن الأسواق التجارية التي تقام في بلاد العرب قديما وحديثا من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤها ، وإنما المقصود هنا الأسواق التي كانت تقام في مواسم معينة ، وأوقات محددة من العام ، لا لمجرد التجارة فحسب ، بل تتجاوزها إلى أمور اجتماعية عامة .

وقد اختلف المتقدمون في عدد الأسواق التي من هذا النوع ، ونقل المرزوقي عن ابن دريد قوله :[٤] إن أسواق العرب الكبيرة ، كانت في الجاهلية ثلاث عشرة سُوقاً .

ولا يتسع المجال للحديث عنها كلها ، بل الاكتفاء بذكر أشهرها :

١ - سوق دَوْمَة الجَنْدَل :

اعتبره المتقدمون أول الأسواق قياما ، وموقعه في الأرض الفضاء الواسعة الواقعة غرب حصن مارد في مدينة دومة الجندل إلى حيث منابع العيون التي كانت في الماضي تجرى سيوحا . وقد تحدث ابن حبيب في كتابه المحبر - ٢٦٣ - بأوفى مما تحدث به عن سوق آخر ، ومثله المرزوقي - فيما نقل عن ابن الكلبي .

٢ - سوق المشقر :

قال ابن الأعرابي [٦] عن المشقر :- مدينة عظيمة في وسطها قلعة على قارة تسمى عطالة ، ماء هجر يتحلب إليها . وذكر غيره بأنه يقع بين نهري مُحلِّم وسُلَيْسِل ، نهرين بهَجَر - مُحَلِّمُ كان يسقى جواثا المعروفة الآن ، وسليسل يقع جنوب الواحة ، وكان معروفا إلى عهد قريب مما يدل على أن موقع المشقر في مدينة هجر التي كانت بقرب مدينة الأحساء التي أنشأها القرامطة بعد تخريب هجر - أي على مقربة من قرية البطّالية ، وعين الجوهرية حيث هناك قصر قريمط من آثار الأحساء القديمة [٧] .

٣ - سوق دَبَـا :

ودَبَا كانت إحدى فِرِض العرب ، وموقعها لا يزال معروفا في أسفل واد يبعد مئة وخمسة وعشرين كيلا عن مدينة الشارقة جنوبها ، وفي أسفل هذا الوادي ثلاث قرى هي : دبا البيعة تابعة لسلطنة عمان ، ودبا الحصن تابعة لإمارة الشارقة ، ودبا بدون إضافة تابعة لإمارة الفجيرة .

ويظهر أن السوق كان يقام في موقع القرى الثلاث هذه ، ليس بعيدا عن الميناء ، في أرض براح واسعة كانت مياهها جارية على وجه الأرض .

٤ - سوق أدَم :

في بلاد عمان ولا يزال اسم أَدَم يطلق على ولاية في الجنوب الغربي من مدينة مَسقَط ، على بعد نحو مئة وعشرين كيلا ، وهناك بلدة بهذا الاسم ، ذات نخل ، يسقى من أفلاج (عيون) والقرية قديمة فيها مسجد ينسب لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفيها ولد أحمد بن سعيد جد الأسرة الحاكمة في عمان الآن ، وعلى مقربة منها تقع حقول النفط ، تبعد عن حدود المملكة الشرقية الجنوبية نحو مئة وخمسين كيلا [٩] .

وهذا السوق لم أر لها ذكرا عن ابن الكلبي ، وذكره القلقشندي في « صبح الأعشى » [٩] و « نهاية الأرب » [٩] ورد الاسم فيهما مصحفا (ارم) .

٥ - سوق الشِّحْر :

والشِّحْرُ هذا في بلاد حضرموت ، يقام السوق تحت ظل الجبل الذي فيه قبر هود عليه السلام [١٠] .

٦ - سوق صنعاء .

٧ - سوق عدن .

٨ - سوق عكاظ .

وموقعه أسافل أودية الطائف ، حيث تفيض تلك الأودية في سهل رُكْبَة ، في متسع من الأرض كانت مياهه بارزة على وجه الأرض ، على بعد نحو ثلاثين كيلا من مدينة الطائف .

٩ - سوق مَجَنَّة :

ويقع في أسفل مر الظهران (وادي فاطمة) .

١٠ - سوق ذي المَجَاز :

في الوادي المعروف الآن بهذا الاسم ، على مقربة من عرفات .

١١ - سوق حُبَاشَة :

لم أر لهذا السوق ذكرا في كتابي « المحبر » لابن حبيب و « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي فيما نقل فيهما عن ابن الكلبي ، وأقدم من رأيته نقل خبر هذا السوق هو الأزرقي في مؤلفه « أخبار مكة »(١١) وهو من أهل القرن الثالث الهجري .

وموقع هذا السوق في أعلى وادي قَنَوْنَا الذي يخترق تهامة حتى يبلغ البحر عند ميناء القنفدة ، ويتضح من تحديد الأزرقي وغيره أن سوق حباشة يقع شرق بلدة القنفدة بنحو خمسة وعشرين كيلا (بقرب خط الطول : ٤١/١٢ وخط العرض : ١٩/١٠) وقد استمر هذا السوق في العهد الإسلامي إلى سنة سبع وتسعين ومئة حين قتلت الأزد واليا على السوق من قبل أمير مكة ، فأشار فقهاء أهل مكة على الأمير بتخريب السوق ، فخربت وتركت .

وذكر ياقوت في « معجم البلدان » أن رسول الله ﷺ لما بلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حُبَاشَة .

وَعدَّهُ البكري في « معجم ما استعجم » أكبر أسواق تهامة ، ونقل عن حكيم بن حزام : رأيت رسول الله ﷺ يحضرها .

وذكر الإمام ابن عبد البر في كتابه « الإستيعاب » أن زيد بن حارثه أصابه سِبَاءُ في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حباشة لخديجة بنت خويلد ، فوهبته لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان سنين ، فتبناه رسول الله ﷺ ، فكان يدعى زيد بن محمد ، حتى نزل قول الله تعالى ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ وروى الخبر الزبير بن بكار عالم قريش في عهده .

على أن صاحب « المعارف »(١٢) ذكر أن حكيم بن حزام اشتراه من سوق عكاظ بأربع مئة درهم ، ثم وهبه لرسول الله ، ولكنني أرى أن الزبير بن بكار أعلم بهذا من ابن قتيبة .

وذكر ياقوت أن من أول البواعث لتأليف كتابه أن سئل سنة خمس عشرة وست مئة عن ضبط اسم حُبَاشَة ، فقال : إنه بضم الحاء . فانبرى له أحد المحدثين معارضا ، فأراد قطع حجة

هذا المعارض ، فألقي في رُوعِهِ افتقارُ العالم إلى كتاب في هذا الشأن ، فألف كتاب « معجم البلدان » .

٢ – أوقات إقامة الأسواق :

كان عرب الجاهلية يتصرفون في تسمية الشهور فيقدمون ويؤخرون ، ذكر ابن جرير [١٣] في تفسير آية النسيء ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ [١٤] بعد أن ذكر أن الحج فرض في ذي الحجة ، قال كان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادي ، وجمادي ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة . وذو الحجة ، يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر ، ثم يسمون رجب جمادي الآخر ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذا القعدة شوالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، في الحجة عامين وفي المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين . وذكر أن الذي كان يتولى النسيء رجل من بني كنانة يقوم في الموسم فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرم . فيحرمونه ذلك العام ، ثم يقوم في العام المقبل فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت صفر . فيحرمونه – أي إنهم يحرمون المحرم عاماً ويحلونه عاما ، ويحرمونه صفر مكانه .

ومن هنا يتضح أن أوقات إقامة الأسواق القديمة لا ترتبط بأشهر محددة دائما بل قد تختلف بإختلاف عبث الجاهليين فيها بالنسيء الذي أبطله الإسلام . وعلى العموم كانت أشهَرُ الأسواق تُعْقَدُ على هذا النحو – في أكثر أقوال المتقدمين :

١ – السوق الأول : [١٥] سوق دومة الجندل ، من أول شهر ربيع الأول إلى النصف منه ، ثم ترق فلا تزال قائمة إلى آخر الشهر .

٢ – سوق المُشَقَّر : من أول جمادى الآخرة إلى آخر الشهر .

٣ – أسواق عمان : من أول يوم من رجب إلى آخره .

٤ – سوق الشِّحْر في حضرموت : في النصف الأول من شعبان .

٥ – سوق صنعاء : في النصف الآخر من شعبان .

٦ – سوق عدن : أول يوم من رمضان إلى عشرين منه .

٧ – سوق عكاظ : في العشرين الأولى من ذي القعدة [١٦] .

٨ – سوق مَجَنَّة : تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة – بعد عكاظ .

٩ – سوق ذي المجاز : من أول يوم من ذي الحجة – ثمانية أيام – إلى يوم الترويه .

١٠ – سوق حَجْرٍ وسوق نَطَاةِ خَيْبَرَ : من يوم عاشوراء إلى آخر المحرم .

٣ - إدارة الأسواق وحمايتها :

١ - هناك أسواق تتولى إدارة شؤونها حكومات من أهل البلاد ذات سلطة قوية وأنظمة محكمة ، وهي أسواق اليمن في صنعاء وعدن ، لأنها - كما قال المرزوقي [١٧] : أرض مملكة وأمر محكم ، وكانت تعشرهم ملوك حمير ثم من ملك اليمن من بعدهم ، ولا يتخفرون بأحد .

٢ - وأسواق تسيطر على أمورها قوى أجنبية ليست من أهل البلاد ، وهي أسواق عمان صحار ودبا وأدم ، وسوق المشقر في البحرين (الأحساء) فكان لدولة الفرس نفوذ على سواحل الجزيرة مكنها من بسط سيطرتها على تلك الأسواق ، وتركت إدراتها بأيدي ملوك من أهل البلاد أنفسهم ، كما يقول ابن حبيب [١٨] عن ملوك هجر من تميم : كانت فارس تستعملهم عليها كبني نصر على الحيرة ، وبني المستكبر على عمان .

٣ - وأسواق تتنازع إدارتها قوتان أجنبيتان ، فأيهما كان الغلب لها تولت إدارة السوق ، ويتمثل هذا في سوق دومة الجندل الواقع على مقربة من نفوذ دولتي الفرس والروم ، الأولى ممثلة بملوك الحيرة في العراق ، والثانية ممثلة بملوك الغساسنة في الشام - أو كما قال ابن حبيب [١٩] - عن هذا السوق :- فكان العباديون إذا غلبوا وليها الأكيدر العبادي ثم السكوني ، وإذا غلب الغسانيون ولوها قنافة الكلبي .

على أن هذا لا ينفي كون كثيرٍ من القبائل لها نوع من السلطة على الأسواق الواقعة في بلادها - كقبيلة الأزد المسيطرة على أسواق عمان ، وقبيلة كلبٍ بالنسبة لسوق دومة الجندل ، وسوق المشقر لعبد القيسي بن ربيعة .

٤ - وهناك أسواق تخضع شؤونها لسلطة القبائل وحدها ، ومنها : سوق عكاظ لقيس عيلان وثقيف المتجاورتان ، والنفوذ لبني نصر الهوازنيين من قيس عيلان ومجنة لكنانة ، وذو المجاز لهذيل ، وحباشة لأزد تهامة ، وحجز لبني حنيفة . والشحر لقبيلة مهرة .

ولا شك أن التجار الذين يفدون على هذه الأسواق يلقون سوء معاملة من حكام السوق ، إذ كثيرا ما يجورون في أحكامهم - وكما قال ابن حبيب [٢٠] عن الحكام في صحار ودبا :- كانوا يصنعون ما يريدون ، ويسيرون بسيرة الملوك في دومة ، كانوا يعشرونها ، وقال عن سوق [٢١] دومة : لم يبع أحد من الشام ولا أهل العراق إلا بإذنه - يعني الملك - ولم يشتر فيها ولم يبع حتى يبيع الملك كل شيء يريد بيعه ، مع ما كان إليه مكسها .

وكذا الحال في سوقي صنعاء وعدن - أي أن السوق التي تحت نفوذ ملك (كسوقي دومة الجندل والمشقر ، وأسواق عمان وصنعاء وعدن) تعشر - أي يؤخذ العشر من كل بضاعة تجلب - لا كما ظن بعضهم أنه يؤخذ من الربح - وهذا مالا يفهم من أن الملك يبيع ما يجبي من مكس قبل بدء غيره بالبيع .

أما الأسواق التي تحت نفوذ القبائل كعكاظ وأسواق الحجاز وتهامة والشحر وغيرهما - فإنها لا تعشر .

ويوضح ما يجري في بعض الأسواق من الظلم ما أورد ابن حبيب مثالا منه في « المحبر » [٢٢] ونصه : سنة خمس تهيأ رسول الله ﷺ لغزوة دومة الجندل ، وكان تجار العرب شكوا إليه ظلم أكيدر بن عبد الملك - فبلغ أكيدر إقباله فهرب وخلى السوق ، ورجع رسول الله ﷺ من الطريق ، وأورد الخبر الواقدي في « المغازي » [٢٣] مفصلا وفيه : ذكر له أن بدومة الجندل جمعا كثيرا ، وأنهم يظلمون من مر بهم من الضافطة ، وكان بها سوق عظيم وتجارة والضافطة جمع ضافِط وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ، وكانوا يومئذ قوما من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت [٢٤] .

٤ - ذوو النفوذ والسيطرة على الأسواق من القبائل .

هناك قبائل تقع الأسواق في بلادها ، وهي :

الأزد : قبيلة قحطانية كثيرة الفروع انتقلت من اليمن وانتشرت في سراة الحجاز ، فمنها زهران وغامد ورجال الحجر وغيرهم ، وهؤلاء من أزد السراة ، ومنها عسير (أزد شنوءه) وأزد عمان ، وهؤلاء هم المسيطرون على أسواق عمان .

بارق : وهي قبيلة من الأزد صريحة النسب اخنت قبيلة ألمع ، ولا تزال تحل في بلادها القديمة في تهامة غرب بلاد بني شهر (من الحجر) وشمالها في صدور وادي قنونا وما حوله من الأودية [٢٦] ، حيث كان يقع سوق حباشة ، وكانوا أصحابه ، وكان الذين يلون أموره فخذا منهم يدعى الأوصام .

تميم : منهم بنو عبد الله بن دارم رهط المنذر بن ساوى ملك البحرين من قبل الفرس حيث سوق المشقر ، ويشاركهم بنو عبد القيس أهل تلك البلاد .

ولبني تميم في العهد الجاهلي نفوذ في الأسواق ، فقد كان منهم حكام سوق عكاظ - أشهر تلك الأسواق - وكانت قبائل مضر كلها تفد إلى سوق دومة الجندل بخفارة بني تميم لكونهم حلفاء قبيلة كلب .

ثقيف : القبيلة العدنانية المعروفة الآن في منازلها القديمة - الطائف وما حوله - وكان سوق عكاظ يقع أسفل أوديتهم في بلاد بني نصر من هوازن قيس عيلان ، ولهذا كانوا هم وقيس عيلان أصحاب السوق .

جديلة : من طيء من القحطانيين كانوا جلوا عن الجبلين فانتشروا خارجها مجاورين لقبيلة كلب في الرمال المعروفة قديما برمل (عالج) وحديثا بـ (النفود الكبير) إلى حدود الشام ، ويفهم من كلام ابن حبيب والمرزوقي مشاركة جديلة لقبيلة كلب في سوق دومة الجندل . وممن ينتسب إلى جديلة في العصر الحاضر بنو لَأمٍ ، وأكثرهم متحضرون .

بنو حنيفة : من ربيعة من العرب العدنانية ،

ويقع سوق حجر في بلادهم ، إذ مدينة حجر كانت قاعدة اليمامة ، وبنو حنيفة تحضروا قبل الإسلام ، ولم تبق لهم بادية .

غطفان : من قيس عيلان من مضر ، ولم أر لها ذكرا في الإشراف على شيء من أمور سوق نطاة خيبر ، والواقع في قلب بلادها ، وقد يكون لحلفائها من المستوطنين في هذه البلاد – من غير العرب وهو ذوو بصر في التجارة – شأنا في ترتيب شؤون السوق الداخلية ، وترك حمايته من الخارج للغطفانيين .

قيس عيلا : من أثر القبائل العدنانية ، وأكثرها فروعا ، ومن فروعها هوازن جيران ثقيف في المنازل ، وبنو نصر من هوازن هم جيرانهم الأدنون ، ولهذا كانوا أصحاب السوق .

كلب : يحسن إطالة النفس عن هذه القبيلة التي كانت تسكن بلاد الجوف عند ظهور الإسلام ، فقد كان شمال بلاد العرب في ذلك العهد تنتشر فيه قبيلة قضاعة من أقوى القبائل وأكثرها فروعا ، وأثراها عدداً ، تمتد بلادها من إمتداد أودية المدينة غربا حتى ساحل البحر الأحمر ، فتشمل جميع بلاد ينبع ، حيث تحل أحد الفروع القضاعية ، قبيلة جهينة التي تمتد منازلها شمالا حتى بلاد فرع آخر (بلي) ونسب القبيلتين واحد ، ومنازل بلي تتصل ببلاد بني عذرة في وادي القرى وما حوله من الأودية ، ويجاور العذريين من الجهة الشمالية بنو القين الذين تتصل بلادهم من الجنوب ببلاد إخوتهم في النسب بني كلب ، أقوى الفروع القضاعية ، التي تشمل بلادهم أوسع رقعة في شمال الجزيرة ، تحد جنوبا بالنفود (رمل عالج) وشمالا تتوغل داخل ريف الشام وقراه ، وشرقا تتجاوز جزون كلب (الحجرة) حتى تبلغ شواطيء الفرات ، وغربا تختلط ببلاد إخوتها (بلقين) في أطراف الحجاز الشمالية حيث السفوح الشرقية لجبال حسمى .

هذه القبيلة كانت تتولى شؤون سوق دومة الجندل لوقوعه في بحبوبة بلادها ، إلا أن السلطة المنظمة من قبل دولتي الروم في الشام ودولة الفرس في العراق من القوة والنفوذ ، ما يحول دون تصرف الكبيين في تدبير أمور ذلك السوق ، فإذا قوى سلطان الحيرة المستمد من دولة الفرس تولاها أحد العباديين من أهل الحيرة ، وإن تغلب نفوذ الروم كان للكلبيين القربي الصلة بالغساسنة من ولاة الروم – الإشراف على السوق .

كنانة : القبيلة المضربة المعروفة كان سرقها مجنة الواقع في تهامة على مقربة من مكة حيث تنتشر فروع تلك القبيلة .

مهرة : قبيلة حضرمية قحطانية لا تزال لها بقية فيما بين عمان وحضرموت ، وكان سوق الشحر واقعاً في بلادها ، ولذلك كانت المدبرة لشؤونه .

هذيل : القبيلة العدنانية الصريحة النسب ، التي لا تزال معروفة ، تحل في بلادها القديمة حول مكة ، ومنها عرفات حيث يقع وادي المجاز بقربها ، وفي هذا الوادي يعقد سوق ذي المجاز وهم أصحابه ، والمشرفون على أحواله .

ومن القبائل من له تأثير في إقامة تلك الأسواق ، ولكنه غير مباشرة ، ذلك بنوع من الحماية ، إما لقوة نفوذها ، وإما لامتهانها للتجارة امتهانا مكنها من إيجاد صلات قوية لمختلف القبائل تكفل لها الحماية ، فقريش كانت حياتها تقوم على التجارة ، ولها الرحلتان المعروفتان إلى الشام وإلى اليمن ، وقد عقدت صلاتٍ أحلافا مع القبائل التي تمر ببلادها أثناء رحلاتها ، لهذا كان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يتخفر بقريش ، ما داموا في بلاد مضر [٢٧] . ومعروف أن هذه البلاد تشمل قلب الجزيرة ، وأغلب الطرق إلى الأسواق يخترقه .

أما الذين يفدون إلى الأسواق من شرق الجزيرة فأنهم يتخفرون بأحد بني قيس بن ثعلبة فتجيز ذلك لهم ربيعة كلها [٢٨] .

وهناك الأحلاف التي كونت بين القبائل صلاتٍ لا تقل في قوتها عن صلة الأنساب ، ولها أثرها في الحماية والمناصرة ، مما هو معروف بين العرب في عصورهم القديمة ، وكان له أثره في انتظام حركة الأسواق التجارية ، مما أشار إليه متقدمو العلماء الذين تحدثوا عن تلك الأسواق [٢٩] .

٥ - رواد هذه الأسواق :

من تلك الأسواق مالا يقتصر الحضور فيه على من يليه ويقرب منه من قبائل العرب ، كسوق دومة الجندل ، التي لا يقتصر حضورها على القبائل القضاعية ، كلب ويلقين وعذرة وبلي وجهينة ومن يجاورها من القبائل كغطفان وطيء وأسد ، بل تحضره قبائل أخرى من العدنانيين وغيرهم من الحجاز واليمن ، بخفارة قريش ما داموا في بلاد مضر ، ومن العراق بخفارة بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة ، وكانت قريش تخرج قاصدة إليها من مكة ، ولا شك أن تجار الشام وتجار العراق يحضرون هذا السوق لما للغساسنة وملوك الحيرة من النفوذ والسيطرة عليه .

وسوق عكاظ هو أعظم سوق تجاري في بلاد المضريين ، ولهذا يقصده عامة الناس ، وترسل إليه القوافل تحمل مختلف البضائع من اليمن والشام والعراق .

ولقرب سوق المشقر في هجر من بلاد فارس ، ولكونه تحت نفوذ تلك الدولة فإن التجار من تلك البلاد يشاركون في السوق ، مع وفود القبيلتين العظيمتين المنتشرتين في شرقي الجزيرة من بكر بن وائل ، ومنهم عبد القيس سكان هجر ، ومن تميم ومنهم حاكم تلك المدينة ، ويصف المتقدمون هذا السوق بكونه أرضا معجبة ، لا تقدمها لطيمة إلا تخلف بها منهم ناس ، فمن هناك صارت بهجر من كل حي من العرب وغيرهم [٣٠] .

ومن الأسواق التي يحتشد فيها تجار من خارج الجزيرة - بالإضافة إلى أهلها - سوق دبا إحدى فرض العرب ، يجتمع بها تجار الهند والسند والصين وأهل المشرق والمغرب [٣١] وتباع في هذا السوق بضائع العرب ، وما يرد من البحر .

ولقرب سوق ذي المجاز في بلاد هذيل من

موقف عرفة فإن هذا السوق يشهده حجاج العرب ورؤوسهم ممن أراد الحج ممن لم يكن شهد الأسواق الأخرى .

وهناك أسواق يقل روادها إما لبعدها أو لكونها لا يصل إليها إلا بخفارة كسوق الرابية وسوق الشحر في حضرموت وسوق صُحار في عمان ، وسوقي حجر (اليمامة) ونطاة خيبر اللذان يقومان في وقت واحد من يوم عاشوراء حتى نهاية محرم .

٦ - ماذا كان يجري في تلك الأسواق ؟ :

تبادل المنافع والسلع بين الناس من متطلبات حياتهم ، ومن هنا نشأت المجتمعات التي يتم بواسطتها الالتقاء والتعارف ، ومنها الأسواق ، وقد تنشأ تلك المجتمعات في أول الأمر لأغراض أخرى ، غير البيع والشراء ، ثم تصبح فيما بعد أسواقاً يرتادها طلاب الحاجات .

ولا استبعد أن بعض أسواق الجاهلية - إن لم يكن كلها - كانت الدوافع الأولى للاجتماعات فيها ممارسة بعض أعمال دينية لوجود معبودات مشهورة في أمكنة تلك الأسواق ، فدومة الجندل التي أصبح سوقها من أشهر الأسواق القديمة كانت مقرا لـ (ود) من أشهر أصنام الجاهلية ، وفي عكاظ كان يوجد الصنم (جهار) وفي المشقر معبود عبد القيس (اللبا) .

ولعل ما يجرى من طرق البيع التي تحدث في تلك الأسواق كان يمت بجذور عميقة لشعائر دينية كانت تمارس عند تلك المعبودات ، مما كان يوحي به سدنتها مبالغة في إحاطة أمورها بالكتمان ، ومثال ذلك ما يمارسه المشركون في عبادتهم عند الكعبة ، فقد كانوا يصفرون بأفواهم ويصفقون بأيديهم كما قال الله عز وجل : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »[٣٢] .

ومن أشنع ما كان يجري في تلك الأسواق مما يعتبر وصمة في حياة العرب الجاهلية ، إباحة المتعة الجنسية ، إذ في أشرف البقاع كان هذا الأمر معروفاً ، وفيه أنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن أردن تحصنا ﴾[٣٣] ، ولولا أن التاريخ لا يرحم أحدا لما حسن ذكر هذا .

ومعروف أن دومة الجندل كان سوقها منفذاً إلى خارج الجزيرة لا تصاله بالشام والعراق ، ولهذا لم يكن ارتيادها مقصوراً على العرب وحدهم ، بل يفد إليها من ذينك القطرين وغيرهما من مختلف الأجناس من لا يتورع عن مقارفة بعض الأخلاق المذمومة ، وهذا يوضح ما ورد في وصف السوق : وكان لقبيلة كلب فيها قن كثير ، في بيوت من الشعر ، فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء[٣٤] ، وكانوا أكثر العرب قنا[٣٤] .

٧ - طرق البيع والشراء :

سبقت الإشارة إلى غرابة طرق البيع المستعملة في هذه الأسواق ، وأنه قد يكون لبعض تصرفات سدنة الأصنام أثر في ذلك من قبيل التهويل ومبالغة الكتمان كما هي عادة ذوي الشعوذة - ومن تلك الطرق :

١ – إلقاء الحجارة في أسواق دومة الجندل والشحر وصحار .
٢ – الملامسة في سوق المشقر .
٣ – الهمهمة في سوق المشقر .
٤ – الإيماء في سوق المشقر .
٥ – الجس بالأيدي في سوق صنعاء .
٦ – السرار في سوق عكاظ .

فإلقاء الحجارة ، ويسمى بيع الحصاة من صوره أن يقول أحد المتبايعين للآخر : ارم هذه الحصاة ، فعلى أي شيء وقعت فهو لك بكذا درهم . أو أن يبيع أحدهم الآخر من أرضه قدر ما انتهت إليه الحصاة ، أو أن يقبض على كف من حصى ويقول : لي بعدد ما خرج في القبضة من الحصى هذا الشيء المبيع ، أو أن يتبايعا ويقول أحدهما : إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع .

أما الملامسة فمن صورها أن يأتي بثوب مطوىء أوفى ظلمة فيلمسه المستام فيقول له صاحب الثوب : بعتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك .

والهمهمة لعل المقصود منها عدم الإفصاح بالبيع والاكتفاء بإخراج كلام غير مفهوم ، ولعل ذلك راجع إلى أن كثيرا ممن يرتاد السوق من الأعاجم .

والإيماء : يومي بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا (٣٥) .

والواقع أن أكثر هذه الصيغ مما لا يعقل أن يجري في مجتمعات تعتبر أرقى ما بلغته المجتمعات العربية في العهود القديمة من الناحية العقلية ، ولعلها كانت تجري في بعض أحوال نادرة يراد منها استغلال بسطاء الناس والاستحواذ بطريق المكر والحيلة على أموالهم من قبل دجاجلة متأثرين بمعتقدات قديمة ، ولهذا جاء الإسلام بإبطال تلك الطرق كما في « صحيح البخاري » وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع المنابذة ونهى عن بيع الملامسة وفي بعض ألفاظ الحديث وهي بيوع كانوا يتبايعون بها في الجاهلية .

الحـواشـي

١ - « معجم البلدان » - رسم (الجوف) - .
٢ - ص : ٢٦٣ و ٢٦٨ .
٣ - ٢ / ١٦١ .
٤ - « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦١ .
٥ - نفس المصدر .
٦ - « معجم ما استعجم » - المشقر - .
٧ - انظر رسم (المشقر) في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » (قسم المنطقة الشرقية) ، وهم الأستاذ عارف محمد حمور صاحب كتاب « أسواق العرب » حيث قال ص ٤٨ : المشقر في حصن بين نجران والبحرين .
٨ - « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦٣ .
٩ - مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٣٠٤ .
٩ - ١ / ٤١١ .
٩ - ٤٦٤ تحقيق الأبياري .
١٠ - « المحبر » : ٢٢٦ و « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦٢ .
١١ - ١ / ١٩١ و « مجلة العرب » س ٢٠ ص ٢٨٩ / ٢٩٣ .
١٢ - ١٤٤ .
١٣ - تفسير ابن جرير : ١٠ / ١٣١ ط الحلبي .
١٤ - (سورة التوبة) الآية الـ (٣٧) .
١٥ - السوق يذكر ويؤنث فيقال (السوق الأول) و (السوق الأولى) .
١٦ - « معجم البلدان » رسم (عكاظ) وفيه : كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه أيام الحج .
١٧ - « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦٤ .
١٨ - « المحبر » : ٢٦٥ .
١٩ - نفس المصدر .
٢٠ - ٢٦٥ .
٢١ - ٢٦٤ .
٢٢ - ١١٤ .
٢٣ - ٤٠٣ .
٢٤ - « النهاية في غريب الحديث » - ضغط - .
٢٥ - « معجم قبائل المملكة العربية السعودية » و مجلة « العرب » س ٢٠ ص ٢٩١ .
٢٦ - « أخبار مكة » للازرقي ١ / ١٩١ .
٢٧ - « المحبر » ٢٦٤ .
٢٨ - نفس المصدر .
٢٩ - « المحبر » ٢٦٤ و « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦١ .
٣٠ - « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦٣ .
٣١ - نفس المصدر .
٣٢ - (سورة الأنفال) الآية الـ (٣٥) .
٣٣ - (سورة النور) الآية الـ (٣٣) .
٣٤ - « المحبر » ٢٦٤ و « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦٢ .
٣٥ - « الأزمنة والأمكنة » ٢ / ١٦٣ وأضاف : وإنما فعلوا ذلك كيلا يحلف أحدهما على كذب أن يزعم أنه بذل له صاحب السلعة . كذا .

الاستيطان الحضاري بمنطقة الجوف منذ أقدم العصور

د. خليل ابراهيم المعيقل
قسم الآثار والمتاحف / جامعة الملك سعود

تعتبر منطقة الجوف من أقدم مواطن الاستيطان في شمال الجزيرة العربية ومن المواقع والمدن الأثرية المهمة في تتبع تاريخ الاستيطان البشري في شمال الجزيرة بشكل خاص والجزيرة العربية بشكل عام . ولقد أثبتت الأدلة الأثرية قدم استيطان الإنسان القديم لهذا الجزء من جزيرة العرب حيث أثبتت المواقع التي تعود إلى العصور الحجرية المختلفة الاستيطان المبكر للمنطقة من قبل إنسان ما قبل التاريخ (أو إنسان العصور الحجرية) .

في هذا الجزء من البحث الموجز سوف أتتبع العصور المختلفة التي مرت بالمنطقة بدءا بالعصور الحجرية القديمة حتى العصور الإسلامية المتأخرة . ومن خلال استعراضنا لهذه الحقب التاريخية سوف يتضح لنا أن سكني الإنسان في الجوف استمرت منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا ، وهذا دليل أكيد على المقومات الحياتيه الأساسية التي تتمتع بها هذه المنطقة بالإضافة إلى أهمية موقعها المتوسط والمتاخم لمراكز الحضارات القديمة في وادي الرافدين وبلاد الشام ، هذا الموقع ساعد كثيرا على ربط المنطقة بالمراكز الحضارية المهمة بواسطة الطرق التجارية التي كانت تمر بواحة الجوف بحيث أصبحت من أهم محطات طرق التجارة في شمال الجزيرة خاصة بالنسبة للطرق التي تربط شرق الجزيرة ببلاد الشام والطريق الذي يربط بلاد وادي الرافدين بالجزيرة العربية .

العصور الحجرية :

استوطن الإنسان في منطقة الجوف منذ أقدم فترات الاستيطان في جزيرة العرب خلال عصور ما قبل التاريخ أو ما تسمى بالعصور الحجرية ؛ أثبتت المواقع الأثرية التي تعود إلى هذه الحقبة ، والتي عثر عليها في الجوف [1] أن إنسان ما قبل التاريخ استوطن هذا الجزء من جزيرة العرب منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ (العصر الباليوليثي الأول ٧٠٠,٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق . م .) .

حيث تميز إنسان هذا العصر باستخدام الأدوات الصوانية الكبيرة مثل الفأس اليدوي ، بالإضافة إلى أن إنسان هذا العصر لم يكن كائنا اجتماعيا بل كان يعيش عالة على الطبيعة ويجني قوته مما تنبته الأرض أو ما يصطاد بيديه من الحيوانات البرية [٢] في منطقة الشويحطية عثر على موقع يعود إلى أقدم فترات العصر الباليوليثي (Lower Palaeo Lithic) حيث أشار د . عبد الله المصري أن هذا الموقع يعتبر أقدم موقع يكتشف في أراضي المملكة العربية السعودية . بالإضافة إلى هذا الموقع عثر على عدد من المواقع التي تعود إلى العصر الباليوليثي الأول في الجزء الشمالي من حوض سكاكا [٤] .

العصر الباليوسيثي الوسيط (Middle Palaeolithic) من أكثر الفترات الحجرية وضوحا ليس فقط في منطقة الجوف بل في شمال المملكة كلها . أكتشف عدد كبير من المواقع التي تعود إلى هذه الفترة ومن الملاحظ أن هذه المواقع تتركز إلى الجنوب من سكاكا على حافة صحراء النفود [٥] .

إنتشار هذه المواقع على حافة صحراء النفود دليل واضح على أن طبيعة هذا الجزء من جزيرة العرب كانت أكثر ملائمة للسكني مما تبدو عليه في وقتنا الحاضر وهذا ربما يفسر إنتشار مواقع العصور الحجرية ليس فقط على حافة صحراء النفود بل أيضا على حافة صحراء الربع الخالي .

خلال العصر الباليوليثي الأعلى (Upper Palaeolithic) فيبدو أن المنطقة قد فرغت من سكانها حيث لم يعثر حتى الآن على أي موقع يعود إلى هذا العصر لذا نعتقد أن هذه الفترة غير واضحة وربما يعود السبب إلى متغيرات بيئية أدت إلى هجرة الإنسان إلى أماكن أكثر ملائمة .

بالنسبة للعصر الحجري الحديث (Neolithic) لم يعثر على أي موقع يعود إلى هذا العصر في هذا الجزء من المملكة العربية السعودية ، ومع ذلك فقد كشف عن موقع في وادي عرعر ١٥٠ كم إلى الشمال من سكاكا [٦] مما يجعلنا نعتقد أن فترة العصر الحجري الحديث يحتمل أن تكون ممثلة في منطقة الجوف ، لكن إلى وقتنا هذا لم يعثر على موقع يؤكد هذا ، وربما في المستقبل القريب ومع ازدياد الاهتمام بآثار هذا الجزء من المملكة أن يعثر على مواقع تعود إلى هذه الفترة .

لقد تميز العصر الحجري الحديث بإنتشار صناعة الفخارية إلى جانب استخدام الأدوات الحجرية الدقيقة ، بالإضافة إلى قيام المستوطنات والقري السكنية والزراعية .

الألف الرابع – نهاية الألف الثاني قبل الميلاد (العصور المعدنية) :

أطلق علماء الآثار على هذه الفترة مسمى العصور المعدنية وقسموها إلى ثلاث فترات : العصر الكالكوليثي (النحاسي) ، العصر البرونزي ، والعصر الحديدي الذي ظهر في نهاية الألف الثاني ق.م . وبني هذا التقسيم على المكتشفات الأثرية في بلاد الشام . هذا التقسيم لا ينطبق على الوضع في الجزيرة العربية بشكل عام خاصة وأن الفترات التاريخية تتفاوت من مكان إلى

آخر . يشير لا نكستر هاردنج أن هذا التقسيم أطلق في الأيام الأولى للأبحاث الأثرية ، ولكن شاع استعمالها بين الأثريين كما تشيع كثير من التسميات المغلوطه ، وأشار أن إطلاق اسم العصر البرونزي لا يعتبر تسمية صحيحة نوعا ما بالنسبة للفترة الأولى والمتوسطة ، لأن جميع الأدوات التي تم تحليلها كانت من النحاس وليست من البرونز (٧) .

يتمثل العصر الكالكوليثي بمنطقة الجوف بعدة مواقع لها عوامل مشتركة من حيث استخدام نوع متشابه من الأدوات الصوانية والفخار . من أهم هذه المواقع موقع الرجاجيل إلى الجنوب من بلدة قارا بـ ١٠ كم إلى الشرق من محطة بترومين يتكون الموقع من خمسين مجموعة من المجموعات تنتشر فوق هضبة ترتفع عن السهل الواقع إلى الشمال منها وتبلغ مساحة الموقع ٥٠٠ × ٣٠٠ م تقريبا . حالة الأعمدة الحجرية إما ساقطه أو مائلة ، يبلغ أقصى ارتفاع لهذه الأعمدة ٣,٥ م وسماكتها ٧٥ سم . كل مجموعة من هذه المجموعات تتكون من عدد يتراوح بين خمسة وسبعة أعمدة ويقترح زارينسي أن هذه المجموعات الحجرية لم توزع عشوائيا كما اقترح وينت وريد ، بل انها جزء من مركبات منفصلة بنيت على هذه الهضبة بشكل مجموعات متوازية (٨) . الأعمدة تواجه الشرق أو الأتجاه العام لشروق الشمس .

الأعمدة الحجرية لم تكن الظواهر الوحيدة بالموقع ، بل تظهر أساسات حجرية خلف المجموعات الحجرية على شكل حدوة الفرس أو المستطيل . عثر على سطح الموقع أدوات صوانية وكسر فخارية ، وهذه تمثل الدليل الأقوى لتاريخ الموقع ، حيث أن هذه المواد لها مقارنات من سيناء وصحراء النقب وفلسطين وشرق الأردن ويمكن أن تؤرخ ، للعصر الكالكوليثي (النحاسي) الألف الرابع قبل الميلاد (٩) .

السؤال الذي يطرح نفسه ، ماذا تعني الأعمدة الحجرية القائمة ؟ جميع من زار ، الموقع من علماء الآثار لا يختلفون على الطبيعة الدينية لهذا الموقع . الموقع لم يستخدم للطقوس الدينية فقط ، بل استخدم كذلك مكانا لالتقاء مجموعة من الجماعات البشرية تلتقي هنا من عدة أماكن محيطة وربما كان للموقع صبغة سياسية بالإضافة إلى الصبغة الدينية . بالإضافة إلى موقع الرجاجيل هناك عدد من الظواهر الأثرية التي تؤرخ إلى نفس الفترة (الألف الرابع ق .م .) وتتمثل بالدوائر الحجرية التي سجلت خلال المسح الذي قامت به إدارة الآثار والمتاحف عام ١٣٩٧هـ (١٠) .

تختلف هذه الدوائر في طريقة بنائها وحجمها ، هذه الدوائر تظهر عادة على شكل مجموعات حيث كل موقع يتكون من عدد من هذه الدوائر (١١) . هذه الدوائر أرخت للألف الرابع ق .م . بناء على الأدوات الصوانية التي وجدت في الموقع .

أما المقابر الدائرية (**Tumuli**) والتي عثر على عدد منها إلى الجنوب والجنوب الشرقي والشمال الشرقي من موقع الرجاجيل ، فهي تعود إلى نفس فترة موقع الرجاجيل وربما تمثل أماكن دفن تابعه لموقع الرجاجيل . هذه المقابر عبارة عن

أشكال شبه مستديره من الحجارة الغير منتظمة ، قطر هذه الدوائر لا تتعدى ثلاثة أمتار .

لم تظهر حتى الآن أي أدلة أثرية تؤكد الاستيطان الحضاري لمنطقة الجوف خلال الألف الثالث والثاني قبل الميلاد (ما يسمى في بلاد الشام بالعصور البرونزية) وربما كان السبب وراء هذا الغياب هو محدودية الحفريات الأثرية في المنطقة والتي كانت عبارة عن محاولات أولية وحفريات محدودة لا تغطي كامل المواقع الأثرية بالمنطقة .

العصور الأشورية - البابلية :

خلال القرن التاسع قبل الميلاد ظهرت كلمة عرب لأول مرة في التاريخ من خلال المدونات الأشورية ، وتزامن ظهورها مع بروز القبائل العربية الشمالية وملكاتها على مسرح التاريخ ، حيث أشارت حوليات ملوك الآشوريين لهذه الملكات والقبائل .

دون الملك الآشوري تفلت بليسر ٧٤٥ - ٧٢٧ق . م أن الملكة زبيبي (Zabibe) ملكة العرب دفعت له ضرائب كذلك أشار أن ملكة أخرى تسمى سامسي شمس (Samsi) هزمت على يد قواته وهربت [١٠] . يعتقد أن هذه الملكة كانت تقطن شمال الجزيرة وربما كانت تحكم واحة دومة الجندل . ما يؤكد هذا أن ملكة أخرى تسمى تلخونو بعد هزيمتها من الملك الأشورى سنحاريب ٧٠٥-٦٩١ ق . م فرت إلى مدينة دومة الجندل مما حدا بالملك الأشورى أن يقود حملة موجهة ضد دومة الجندل حيث دخل المدينة وخربها وحمل جميع الآلهه إلى نينوي عاصمة الأشوريين من خلال حوليات الملوك الأشوريين . يتضح أن هناك تسع حملات قام بها كل من الملوك الأشوريين ، تفلت بليس ٧٤٥-٧٢٧ ق . م سارجون الثاني ٧٢٤-٧٠٥ ق . م سنحاريب ٧٠٥-٦٩١ ق.م ، اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م وأشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٦ ق . م هذه الحملات كانت جميعها ضد قبائل شمال الجزيرة وضد دومة الجندل ، حيث يعتقد أن هذه القبائل لعبت دوراً في عرقلة حركة القوافل التجارية عبر أراضيهم .

أما علاقة شمال جزيرة العرب بالبابليين فقد كانت علاقة جيدة كما أشارت المدونات الأشورية بمساعدة هذه القبائل للبابليين في صراعهم ضد الأشوريين . إلا أن آخر ملوك البابليين نيونيد ٥٥٥-٥٣٩ ق . م قام بغزو شمال الجزيرة حيث قام في بداية الأمر بفتح دومة الجندل ومن ثم توجه إلى تيماء وفتحها واستقر بها لمدة عشر سنوات [١٢] .

خلال العمل الميداني الذي قمت به عام ١٤٠٦هـ عثرنا في الطبقة السفلى من المجس الثاني الذي حفرناه بدومة الجندل على قطعة فخار عليها زخارف مرسومة بطريقة الشبكة بالإضافة إلى دمية من الفخار تمثل أحد الآلهه التي كانت سائده في العصور الأشورية والبابليه . كسرة الفخار تشابه ما عثر عليه نلسون جلوك [١٣] في موقع طويلان بالقرب من البتراء بالأردن . وقد أرخ جلوك هذا النوع من الفخار إلى العصر الحديدي المتأخر (القرن السادس - الخامس ق . م .) على سفح

التل الذي تقوم عليه قلعة زعبل عثرنا على قطعة مشابهة لهذه القطع الفخارية وهذا يؤكد لنا أن سكاكا كانت مأهولة بالسكان في تلك الفترة وليس فقط دومة الجندل التي ورد ذكرها في المدونات الأشورية (١٤) .

هذه الدلائل التاريخية والأثرية تؤكد أن المنطقة كانت مستوطنة خلال هذه العصور ومع ذلك فلا زلنا نجهل الكثير عن تاريخ الاستيطان في الجوف خلال هذه الحقبة الزمنية .

العصور الفارسية – الهلينية :

سيطرت الأمبراطورية الفارسية على الوضع السياسي في الشرق الأدنى منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد حتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد . وامتد نفوذها ليشمل جنوب جزيرة العرب . في منطقة الجوف لم تظهر لنا أي دلائل أثرية أو تاريخية تعود إلى هذه الحقبة الزمنية وربما هذا يعود كما أشرت في أكثر من مكان إلى محدودية الحفريات الأثرية التي تمت في المنطقة . في عام ٣٣٣ ق . م . استطاع القائد اليوناني الأسكندر المقدوني القضاء على الأمبراطورية الفارسية وسيطرة العنصر الهليني على الوضع في الشرق الأدنى القديم ، ودخول المنطقة في ما يسمى بالعصر الهلنستي الذي تميزت حضارته بمزيج من الحضارة الأغريقية والشرقية . خلال القرن الرابع إلى القرن الأول قبل الميلاد سيطرت التأثيرات الهلنستية على المراكز الحضارية في شمال الجزيرة العربية وتأثرت كذلك أطراف الجزيرة العربية خاصة الجزء الشرقي منها .

خلال هذه الفترة ظهرت كثير من الدلائل الأثرية في منطقة الجوف تمثل هذه الفترة ، ويعتبر موقع الطوير إلى الجنوب من سكاكا وإلى الشرق تماما من بلدة الطوير من المواقع الأثرية التي تعود إلى هذه الفترة الزمنية حيث اتضح أن تاريخ هذا الموقع يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي . الفخاريات التي أكتشفت في الموقع وكذلك في دومة الجندل تشابه فخار موقع ثاج في شرق المملكة وبشكل خاص الزخارف المحزوزة التي تظهر بكثافة في فخار كلا الموقعين (١٥) .

عصر الأنباط :

ظهرت كلمة نبط أونبتو من خلال المدونات الأشورية ، ويعتقد أن هذه الكلمات تعني القبائل النبطية . لكن الأشارة الواضحة وصلتنا من خلال المصادر الكلاسكية التي تكلمت عنهم بشيء من التفصيل ، إلا أن ظهورهم كقوة سياسية يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد .

وقد أشارت الدلائل الأثرية أن الحارث الأول يعتبر أول ملك من ملوك الأنباط يذكره التاريخ وقد حكم حوالي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد .

يعود ظهور الأنباط في شمال الجزيرة إلى القرن الأول قبل الميلاد خلال حكم الملك عبادة الثاني (٣٠–٩ ق . م) في ذلك الوقت كانت الحجر (مدائن صالح) مركزاً تجارياً نبطياً (١٧) . ويؤكد هذا الحملة التي قام بها القائد الروماني

اليوس جالوسي في عام ٢٤ قبل الميلاد ضد الجزيرة العربية بمساعدة الأنباط حيث كانت الحجر مركز إنطلاق هذه الحملة . ومن المؤكد أن الأنباط كانوا مسيطرين على شمال الجزيرة قبل تاريخ هذه الحملة بزمن [١٨] .

أهمية الطرق التجارية التي تربط اليمن وشرق الجزيرة بشمالها لعبت دوراً كبيراً في مد نفوذ الأنباط على واحات شمال الجزيرة حيث أصبحت مراكز نبطية لمراقبة حرية حركة هذه القوافل التي اعتمد عليها اقتصاد الأنباط . لذا نجد أن المواقع النبطية في شمال الجزيرة توجد على طول الممرات القديمة للطرق التجارية في شمال غرب الجزيرة وعلى طول وادي السرحان .

تعتبر منطقة الجوف من المواقع النبطية المهمة في الطرف الجنوبي لوادي السرحان في عام ١٩٥٧م نشر سافيناك وستاركي نقشا نبطيا من الجوف ، هذا النقش يؤرخ إلى السنة الخامسة لحكم مالكوس (مالك) الثاني (٤٠-٧٠م) وهو عبارة عن إشارة لبناء معبد في الجوف قدمه شخص يسمى عنيمو قائد قلعة لم يذكر اسمها [١٩] . هذا النقش دليل على أهمية هذه المنطقة بالنسبة للأنباط حيث تعتبر محطة مهمة من المحطات التجارية التي تتحكم بعدد من الطرق التجارية المؤدية إلى الأراضي النبطية خاصة ما يربطها بشرق الجزيرة العربية .

خلال مسح إدارة الأثار والمتاحف عام ١٣٩٦ في المنطقة ، ومن خلال مجس حفر بالقرب من قلعة مارد ، كشف عن مجموعة من الكسر الفخارية النبطية [٢٠] .

في عام ١٤٠٦هـ قام الكاتب بعمل ميداني في الجوف ، ومن نتائج الحفريات التي تمت في دومة الجندل (داخل قلعة مارد وبالقرب من مسجد عمر) ظهر جليا تمثيل واضح للفترة النبطية ، فقد عثرنا على مجموعة متجانسة من الفخار النبطي الرقيق الذي يؤرخ إلى القرن الأول ق . م - القرن الأول م . [٢١] . بالإضافة إلى ذلك سجلنا عدداً كبيراً من النقوش النبطية المنتشرة حول سكاكا ودومة الجندل ، وهذا دليل آخر على الوجود النبطي في هذا الجزء من الجزيرة العربية ، حيث تم حصر أكثر من خمسين نقشا .

من الواضح أن الفترة النبطية في المنطقة تعتبر من أهم الفترات التاريخية التي مرت بالمنطقة ، وقد لعبت التجارة والطرق التجارية دوراً بارزاً في أزدهار المنطقة مما ساعد على نمو وتوسع الاستيطان خلال هذه الحقبة .

عصر قبيل الإسلام :

عصور قبيل الإسلام هي الفترة الزمنية الممتدة بين القرن الثاني وبداية القرن السابع الميلادي . هذه الحقبة تميزت بالهيمنة الأجنبية على بلاد الشام ووادي الرافدين حيث سيطر الرومان منذ بداية القرن الثاني الميلادي على بلاد الشام ومن ثم أعقبهم البيزنطيون . بينما سيطر الساسانيون على وادي الرافدين . قامت على أطراف هذه القوى ممالك عربية تابعة لهذه القوى الأجنبية ، كالمناذرة في وادي الرافدين والغساسنة في بلاد الشام .

شمال الجزيرة كانت واقعة تحت النفوذ الروماني - البيزنطي ، وهذا النفوذ يتمثل في ولاء حكام هذه الواحات والمراكز التجارية للسلطة المركزية في بلاد الشام .

ولا يوجد أي دلائل أثرية تؤكد الاستيطان الأجنبي في هذا الجزء من جزيرة العرب . اهتمام الروماني بالجزيرة العربية يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد عندما حاول القائد الروماني اليوس جالوس غزو الجزيرة في عام ٢٤ ق . م وكان الهدف الرئيسي وراء الغزوة محاولة السيطرة على الموارد والمراكز التجارية في جنوب الجزيرة وعلى طول مسارات القوافل التجارية .

أهمية شمال الجزيرة للرومان ناتجة عن تحكمها بطرق التجارة بالإضافة أنها تمثل الحدود الفاصلة بين الأمبراطورية الرومانية في الشمال والقبائل العربية في جنوبها . عثر في دومة الجندل على نقش لا تيني (محفوظ الآن في متحف جامعة الملك سعود) هذا النقش يشير إلى تواجد فرقة من الجيش الروماني في الجوف في مهمة لم يشر إليها النقش [٢٢] .

هذا النقش دليل قوي على اهتمام الرومان بشمال الجزيرة ، حيث كانت ترسل بين الحين والآخر فرق من الجيش في مهمات قصيرة في شمال الجزيرة (في دومة الجندل ومدائن صالح) ولا يوجد دليل لتمركز قوة من الجيش الروماني في شمال الجزيرة .

منذ منتصف القرن الرابع الميلادي حتى ظهور الإسلام خضعت شمال الجزيرة للهيمنة البيزنطية حيث أصبح حكام واحات شمال الجزيرة تابعين وموالين للأمبراطور البيزنطي ، وهذا الوضع ينطبق على حكم الأُكيدر بن عبد الملك لدومة الجندل قبيل البعثة النبوية حتى فتح دومة الجندل على يد خالد بن الوليد في بداية خلافة أبي بكر الصديق رض الله عنه .

العصور الإسلامية :

بدأ اهتمام المسلمين بمنطقة الجوف منذ وقت مبكر بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ، هذا الاهتمام جاء نتيجة لأهمية موقع دومة الجندل بالإضافة إلى كون دومة الجندل موالية للامبراطور البيزنطي بدمشق . في السنة الخامسة للهجرة قاد الرسول محمد ﷺ غزوة ضد دومة الجندل واستطاع الرسول ﷺ دخولهابدون حرب . المسعودي ذكر عند إشارته لهذه الغزوة أنها أول غزوة ضد الروم [٢٣] وأضاف أن أكيدر بن عبد الملك الكندي كان حاكمها وكان يدين بالنصرانية ويخضع للامبراطور البيزنطي . أما في السنة السادسة للهجرة فقد وجه الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف بسريه إلى دومة الجندل لدعوة أهلها إلى الإسلام [٢٤] خلاصة القول أن دومة الجندل لم تصبح ضمن الأراضي الإسلامية إلا بعد فتحها على يد خالد بن الوليد في حملته الثانية ضدها حيث كانت سريته الأولى في أثناء غزوة تبوك ، أما فتحها فقد تم في بداية خلافة أبي بكر الصديق حيث استطاع خالد فتحها وقتل ملكها اكيدر بن عبد الملك بعد هذا الفتح وخلال فترة صدر الإسلام أصبحت الجوف جزءاً مهما بالنسبة

للفتوحات الإسلامية التي تمت في العراق والشام حيث يمثل موقعها المتوسط نقطة مرور على الطريق الذي يربط جنوب العراق ببلاد الشام . هذا الموقع كان السبب الرئيسي لاختيارها مكانا للتحكيم بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان بعد وقعه الجمل .

بعد قضية التحكيم لم تذكر المصادر العربية المبكرة أية إشارة لدومة الجندل ولا نشك أن الاستيطان في الجوف قد استمر خلال العصور الإسلامية المختلفة والآثار القائمة والمطمورة تعطينا دلائل واضحة لهذا الاستمرار .

الكتابات العربية المنتشرة على الصخور والتي تعود أغلبها إلى العصرين الأموي والعباسي تؤكد أن المنطقة كانت طوال هذه الفترة تنعم بنوع من الاستقرار مما يجعلها محطة مهمة على الطريق الذي يربط جنوب بلاد العراق بالشام(٢٦) . بالإضافة إلى الكتابات عثر على أدلة أثرية تتمثل بالكسر الفخارية المنتشرة في المواقع الأثرية بدومة الجندل وسكاكا يرجع تاريخها للعصور الأموية والعباسية والفاطمية ، كذلك عثر على مجموعة من العملات الفاطمية في المنطقة الواقعة جنوب قارا .

خلاصة القول أن الأستقرار السكني في المنطقة استمر طوال العصور الإسلامية المبكرة والمتأخرة ، وأن هذه الاستمرارية هي العامل الرئيسي الذي أدى إلى إختفاء كثير من الأدلة المعمارية والأثرية نتيجة للاستخدام المتواصل للمواقع نفسها في فترات مختلفة ومتعاقبة . إن الوقت لا زال مبكرا للخروج بتصور تام عن وضع المنطقة خلال كل عصر من العصور الإسلامية المختلفة خاصة وأن الحفريات لا زالت في بدايتها وأن جميع المواقع التي تم حفرها حتى الآن تعود إلى عصور ما قبل الإسلام ، والاعتقاد الجازم أن هناك مناطق مدفونة تعود إلى فترات استيطان إسلامية سيتم حفرها في المستقبل ، بحيث يمكن تتبع تاريخ المنطقة في العصور الإسلامية المبكرة وحتى العصور المتأخرة .

الهوامش والمراجع

١ - Parr, P.J. et, al, " preliminary report on the second phase of Northern province survey " Atlal,II,34-35.

٢ - هاردنج ، لا نكستر : **آثار الأردن** ، ترجمة سليمان موسى ، عمان ١٩٧١ ، ص ٢٧ .

٣ - مصري ، عبد الله : محاضرة ألقاها في دار الجوف للعلوم بتاريخ ١٩٨٦/٣/٢م .

٤ - Parr, et al, ibid, p 34-35.

٥ - لتوزيع هذه المواقع انظر أطلال ، العدد الثاني ، لوحه ٢١ .

٦ - parr, et, al. ibid, p. 36

٧ - هاردنج ، لا نكستر ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

٨ - Zarins, "Rajajil" Atlal, III, 73-77.

٩ - Zarins, "Rajajil" Atlal, III, 73

١٠ - Luckenbill, D.D., **Ancient records of Assyria and Babylonia** Chicago, 1927, I, no 772.

١١ - Al-Muaikel, K., "A Critical study of the archaeology of the Jawf region of Saudi Arabia with additional material on its history and early arabic epegraphy" PH.D. thesis, Durham University, 1988 P.8.

١٢ - Musil, A. **Northern Hejaz**, New York, 1927, P 224.

١٣ - علي ، جواد ، **المفصل في تاريخ العرب** ، بغداد ، ١٩٧٧م ص ٦١٠-٦١١ .

١٤ - Al-Muaikel, ibid, p. 94

١٥ - Al-Muaikel, ibid, p. 78-80.

١٦ - هاردنج ، لا نكستر ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

١٧ - Necev,A., "The Nabataeans and provincia Arabia" **Aufsteig ung und Niedergang der Romischen welt**, II (8) 1977, p. 558,582.

١٨ - Al-Muaikel, ibid, p. 15-16.

١٩ - Savignac, R.P., and starcky: "Une inscription anbateenne provenantdu DJOF" Revue Biblique, Lxiv, 1957, PP. 196-217.

٢٠ - Adams, R.M., et at, "Preliminary report on the frst phase of the Comprehensive Archaeological Survey Program" Atlal, I, ibid 1977, P. 38.

٢١ - AL-Muaikel, ibid, 18

٢٢ - Bowersock, G.W. Roman Arabia, London, 1983, PP. 98-99.

٢٣ - المسعودي ، علي بن الحسين ، التنبيه والأشراف ، ليدن ، ١٩٦٧م . ص ٢٤٨ .

٢٤ - الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر : كتاب المغازي ، لندن ، ١٩٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٥٩ .

٢٥ - البلاذري ، أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٩ ، ٦٣-٧٠ .

٢٦ - AL-Muaikel, ibid, pp. 150-155

نظرة الإسلام إلى رعاية المحتاجين..!

عبد العزيز عبد الرحمن المسند
المستشار بوزارة التعليم العالي

اتخذ الإسلام في نظرته لرعاية المحتاجين نهجا جديدا في تقسيم هذه الرعاية فيها العلاقات الإنسانية ، وصلات القربى ، والعطف والحنان والوفاء والمبادلة بالمثل ، والرحمة والشفقة ، والمساواة والمشاركة في رزق الله ، ثم الولاية العامة .. وابتدأت هذه الرعاية بالطفل في دورة عندما كان جنينا ثم طفلا في رضاعه وحضانته ثم في دور تربيته ، إلى أن يكون زوجا أو زوجة فنظمت هذه العلاقة وما يترتب عليها وما ينشأ عنها واستمرت معه إلى أن يكون شيخا عاجزا يحتاج لرعاية خاصة ... بخلاف أية رعاية في غير الإسلام التي تقتصر على جانب معين وعلى طريق واحد ... ويمكن تلخيص الفوارق بين النظرة الإسلامية وغيرها بالنقاط التالية :

الأولى : إن الإسلام جعل الرعاية دينا يتقرب المسلم بأدائها إلى ربه بينما جعل ذلك نظاما مستكرها في القوانين الحديثة .

الثانية : الشمول في النظرة الإسلامية والقصور في النظرات الأخرى .

الثالثة : التركيز على العلاقة الأسرية في الإسلام بينما ينعدم ذلك في غيره حيث تنفصم الأسرة وتتفرق، وتموت علاقتها ببعضها .

الرابعة : كفالة اليتيم في الإسلام تعتبر كفالة خاصة كالولد والقريب بحيث يتربى اليتيم مع أولاد كافله وتعتبر في النظم الأخرى إقامة في ملجأ حتى يكبر ..

الخامسة : تلذذ المسلم بهذا العمل النبيل لأنه يعلم ما سيعود عليه من الأجر في الدار الآخرة بينما يتأ لم الآخرون من فرض الضرائب وتصاعدها .

السادسة : كون بيت المال في الإسلام كافلا عاما للمحتاجين إذا تعذر من يعولهم من الملزمين بنفقتهم شرعا أو تبرعا .. بينما تقتصر رعايتهم في غير الإسلام على مخصصات معينة محصورة .

العمل أهم الرعايات :

رغم عناية الإسلام برعاية المحتاجين فإنه حرص كثيرا على تقويم الفرد واعتماده على نفسه وعدم احتياجه للآخرين ، فربى الفرد على الاعتماد على الله ثم على نفسه وأمر بالعمل والكسب من عرق جبينه وذات يده ، وأثار فيه العزة والكرامة . فأرشد إلى السعي في الأرض لطلب الرزق ودعاه لبذل كل الجهود للعمل في أي مجال يعود بالخير عليه وعلى من يعوله وراعى عدم حيلولة العبادة بينه وبين الكسب بل جعلها عونا له ومنظمة لوقته ... وكان رسول الله ﷺ وخلفاؤه يعودون المسلمين على العمل وينهون عن البطالة والكسل فمن وجدوه سألوه عن عمله وحرفته فإن لم يكن له عمل أرشدوه وفتحوا له أبواب العمل . وشدد رسول الله (صلعم) في النهي عن السؤال وجعل المسألة عارا شنارا في الدنيا والآخرة ... وقال لا يزال الرجل يسأل ويسأل حتى يلقي الله يوم القيامة وليس في وجهة مزعة من لحم ... وكل ذلك رغبة منه في دفع المسلمين إلى العمل وعدم الحاجة إلى الغير مهما كان قريبا أو غنيا أو باذلا ..

وقصته مع أحد الأنصار تعطينا مبدأ الإسلام في هذا الموضوع وتكفي شاهداً على حكمة الإسلام وكونه من عند الله ... « أتى رجل من الأنصار يسأل رسول الله ﷺ . فقال رسول الله : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه الماء . فقال ائتني بهما فأتى بهما فأخذهما ﷺ بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال النبي : من يزيد على درهم — مرتين أو ثلاثة — ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ثم قال له : أذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً . ففعل ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما . فقال له ﷺ : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة .. إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذى دم موجع .. » .

ولا شك أن هذا الاتجاه خير من كل رعاية .. وخاصة إذا صاحبه إيمان وغنى نفس وقناعة بالرزق اليسير الذي يغني عما في أيدي الناس ...

الرعاية الواجبة :

أ — الزكاة الشرعية :

من أهم صور الرعاية في الإسلام الزكاة الشرعية الواجبة في مال الأغنياء للفقراء ووجوبها مؤكدا لا يصح إسلام امرىء مسلم بدون أدائها .. وهذا يعني أن حق الفقراء والمحتاجين مضمون وهو يزيد وينقص بحسب ثراء التجار — وقلة ما في أيديهم .. والميزة فيها أن الغني يؤديها للفقير مباشرة أو بواسطة وهو متلذذ بأدائها وغير مان بها لأنها عندما تتحقق عليه تنتقل من كونها حقه إلى حق الله عز وجل وسيأخذها الفقير وهو يشعر بأنها حق له فرضه الله ... وسينتج عن هذه الروح

تعاون وتحاب وحرص على المال الذي بيد الغني من قبل الفقراء لأنهم يعلمون أن فيه حقا لهم عليهم أن يحافظوا عليه ... وهي نسبة لا تضر الغني وتنفع المحتاجين ، فهي جزء من أربعين جزءا بالنسبة للنقد المتداول وفي قيمة ما أعد للتجارة ، وفي أجور ما يؤجر .. وجزء من عشرين جزءا بالنسبة للثمار .. ولو أنها استغلت كما أراد الله عز وجل أي أخرجها الأغنياء بصدق وإخلاص وأحسن توزيعها وايصالها لمستحقها لم يبق في المسلمين فقير ولا محتاج ..

ب – نفقة الأقارب :

ومن النفقات الواجبة والرعاية المحتمة نفقات الأقارب من الأصل والفرع حيث نظمها الإسلام ورتبها وألزم القادر بالنفقة على المحتاج .. بادئا بالوالدين مظهرا حقهما وقارنا له بحق الله عز وجل .. (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ..) .. ثم بالأولاد الذين يتفرعون عن الوالدين (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ..) فجعل في تقوى الوالدين حنانا ومحبة وشفقة على الصغار .. والزمهم بالنفقة عليهم كبارا أو صغارا إذا احتاجوا .. وقد اشتكت هند أم معاوية وزوجة أبي سفيان إلى رسول الله (ﷺ) ، فقالت : يارسول الله ، ان أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو يعلم .. فقال : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف . وقال رسول الله ﷺ : (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة ، أنا وهو ، وضم أصابعه .. وقال وقد رأى امرأة معها جاريتان لها ، فقال : من ابتلى من هؤلاء بهن ، فأحسن إليهن كن له سترا من النار ...) .

وألزم الرجل نفقة الزوجة بالمعروف وبمثل ما يعيش به مثلها . قال الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) ...

وجعل بعد ذلك النفقة للأقارب الأقرب فالأقرب .. وقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ فيم أنفق ؟ قال أبدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذى قرابتك .. وهذا الباب مبسوط في كتب الفقه متى يجب ومتى يسقط ومتى يكون أحدهم أولى من غيره .. فمن شاء فليرجع له ..

الرعاية المستحبة :

أما الرعاية المستحبة فإنها باب واسع ومصرف مفتوح لا حد له في الإسلام إذ كانت الدعامة الأولى التي اعتمد عليها رسول الله ﷺ في دعوته ، فقد أنفق أبو بكر (رضي الله عنه) كل ماله في سبيل الله وفي سبيل إنجاح الدعوة ولإعالة المسلمين الذين ضيق عليهم الخناق من قبل أعداء الدعوة وبذل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أموالا طائلة في سبيل الله تفوق الحصر وأنفق عبد الرحمن

ابن عوف مالا كثيرا وكثيرون غيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ...

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تدعو إلى الإنفاق المستحب دون حصر أو تحديد وتحض على البذل بشكل لا يملك معه المسلم إلا أن يندفع إلى العطاء بنفس سخية ورغبة أكيدة في طلب المثوبة الكبيرة التي وعده الله تعالى بها ..

وقد يبدو أنه سرّ قصده الله عز وجل وهو أنه تعالى هو الذي أعطى بني الإنسان المال وكل الوسائل المسببة للحصول على المال ، ومع ذلك أغراهم بالدعوة إلى الإنفاق منه ووعد عليه الأجر العظيم بل قد رفعه إلى التعامل معه عز وجل حيث يقول تعالى : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ...، إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) ... فهل توجد منقبة أو منزلة أكبر قدرا من التعامل مع الله .. وهذا يعني إن الله قصد فيما نعلم أمورا :-

أولا : إتاحة الفرصة للمسلم للمبادرة بعمل الخير من نفسه وطوع اختياره .

ثانيا : تعويده على البذل والأنفاق ليقوى على شح نفسه ويتغلب على نوازع الشر .

ثالثا : خلق روح التعاون بين المسلمين ورحمة الفقراء والمعوزين .

رابعا : فتح باب واسع للأجر والمغفرة من الله لعباده المؤمنين ولتأكيد هذه الأسرار وكثير غيرها يمكن أن تستمع إلى بعض آيات من أسلوب القرآن في هذه الدعوة .

يقول الله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لم يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه .. لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، فسوف نؤتيه أجرا عظيما .. ﴾ .

وهذه دعوة واضحة للأنفاق العام دون تحديد ودون حصر وتشمل كل جوانب الحياة وكل جهات الأنفاق .. الأقرب فالأقرب ..

﴿ ... واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ... ﴾ .

وتبدو الرعاية واضحة في هذه الآية لكل المحتاجين من المسلمين رعاية تامة فيها البذل والأحسان . وهذه ميزة الرعاية الإسلامية التي فيها الأحسان بالمعاملة وعدم إفهام المحتاجين بالذلة

والمهانة وعدم إظهار الفضل للباذل أو التفاخر والخيلاء .

وإذا كان القرآن الكريم قد أكثر من الدعوة إلى البذل ورعاية المحتاجين فإن رسول الله ﷺ كان قوله وفعله دعوة وقدوة لتطبيق ما جاء به القرآن الكريم .. وأمثال ذلك كثيرة .. منه : (شر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ..) .. والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن .. قالوا : من يارسول الله ؟ قال : من بات شبعانا وجاره طاوٍ ... من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربه يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله في الدنيا والآخرة .. ومن ستر على مسلم ستر الله عليه .. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ..) .

ويتمادى الإسلام في الدعوة إلى استمرار الرعاية حتى فيما بعد الموت فيذكر المسلمين بالموت ويرشدهم إلى إنتهاز الفرصة للإنفاق قبل الأجل ويرشدهم إلى طريقة بقاء الأجر مستمرا بعد الموت ..

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ... وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) .

ويقول رسول الله ﷺ : إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقه جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .. وجاءه رجل يسأل عن بر والديه فلما أخبره قال : هل بقي من برهما شيء بعد موتهما ؟ فقال : نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما من بعدهما) ..

وكل هذه الآيات والأحاديث تدل على رغبة الإسلام في إغناء المحتاجين وتعدد أبواب الأنفاق عليهم حتى يزيد دخلهم وترتفع معنوياتهم ويستغنوا عن غيرهم .. ومثل هذه الرعاية الشاملة لا توجد في غير الإسلام ولا في أي نظام أو قانون نظمه البشر .. والله أحكم الحاكمين ..

بيت المال :

بعد كل ما تقدم من سبل الأنفاق الكثيرة التي تتم بين المسلمين أنفسهم دون تدخل الدولة تأتي رعاية بيت المال ومسئولية الحكومة الإسلامية عن رعاية المحتاجين واليتامى والعجزة ... فإن بيت المال فيه حق لهؤلاء لإعالتهم ومعالجتهم وإيوائهم حتى يستغنوا أو يكبروا أو يقووا على العمل ...

ولذلك جعلت دخولاته شاملة .. أهمها الفيء وهو ما أفاء الله على المسلمين من أموال المحاربين ، والمناجم العامة ، وأموال من لا وارث له ، وكل مال مسلم متبرع .. وهو جاهز للقيام بواجبه إذا دعت الحال .. ويدخل في رعايته دفع الغرم الذي يتحمله مسلم لنفسه أو لإصلاح ذات البين أو دم خطأً لا علاقة للقاتل ...

ولذلك يقول رسول الله ﷺ : أنا أولى بكل

مؤمن من نفسه من ترك مالا فلوارثه ومن ترك دينا فعلي ... ويقول : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. الإمام راع مسئول عن رعيته ..) ورعاية الإمام شاملة لكل فرد من أفراد الأمة في المعنى والحس وحسب حال كل منهم ...

وبعد هذا يتضح جليا إن الإسلام كفل للمسلمين الرعاية على إختلافها وجعلها أبوابا واسعة لا يغلق منها واحد حتى تنفتح أبواب كثيرة ... ولو طبق المسلمون بابا من هذه الأبواب لكان المسلمون على درجة عظيمة من اليسر والتفرغ للعمل والبناء .. وهم فاعلون بمشيئة الله تعالى ...

عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

يمكن أن نأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنموذج لرعاية المحتاجين والقيام بشئونهم وتفقدهم .. فقد كان رضي الله عنه يولي هذا الجانب عناية فائقة رغم إنشغاله بأمور المسلمين العامة والفتوحات الإسلامية والأمصار المختلفة . وكان هو وسلفه ومن بعده يعملون ويكتبون إلى عمالهم بأنهم إنما بعثوهم معلمين ومرشدين ومفقهين ولم يبعثوهم جباة ولا حكاما .. وسيرة سيدنا عمر (رضي) في يومه وليلته مليئة بأمثلة تفقد الرعية والقيام بشئونهم ومساواتهم والرفع من معنوياتهم .. والعيش معهم في المجالس والمساجد والمحلات العامة ...

وبين أيدينا الآن واقعتان من أعمال عمر (رضي الله عنه) ، أولاهما :-

امرأة من البصرة ... كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعمل في بيته بيده فاستأذنت امرأة على زوجة عمر ، فأذنت لها .. وسألتها أن تدلها على عمر (رضي الله عنه) .. فترك عمر شغله وأقبل على المرأة يسألها عن حاجتها ، فقالت له : إن لها خمس بنات كسل كسل ، فيردد كسل كسل ، ويبكي . فسألها عن الكبرى وكتب لها خراجا ، وعن الثانية ويكتب لها حتى الرابعة ، والمرأة تحمد الله ، فلما أنتهى من الكتابة للرابعة ، قالت : شكر الله لك ياعمر ، فتوقف عن الكتابة للخامسة ، وقال : لما كنت تعطين الحمد لمستحقه كنت أعطيك ما تستحقين ، ولما أعطيته لغير مستحقه توقفنا فمرى الأربع أن ينفقن على الخامسة فانصرفت .. وعندما وصلت البصرة وسلمت الورقة لعامله هناك ، بكى بكاء شديدا وقال . رحم الله كاتب هذا . فبكت المرأة . ثم قال : إنا كنا لا نعصيه حيا فلن نعصيه ميتا ...

وبمثل هذه الروح وذلك التواضع بلغ المسلمون المنزلة الاجتماعية التي سجلها لهم التاريخ ، فكانوا في أعلى درجات المحبة والألفة والرضا والقناعة والترابط ... ورغم قلة ما في أيدي المسلمين في بعض الأحيان إلا أن الصدق في العمل ، والصدق في الطلب والتعاون على الخير كان يغطى كل نقص ويجبر كل خلل ..

وثانيهما : عمر (رضي) وأم البنين :

روى أسلم مولى عمر (رضي الله تعالى عنهما) قال : خرجت مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذ نار تؤرث ،

فقال : يا أسلم أرى هؤلاء ركبا وقصر بهم الليل والبرد انطلق بنا .. فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذ امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيتها يتضاغون فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وكره أن يقول النار) .. قالت : وعليك السلام .. فقال أآدنو ؟ قالت : ادن بخير أودع . فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد .. قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع .. قال : وأي شيء في القدر ؟ قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فقال : أي رحمك الله ، ما يدرى عمر بكم .. قالت : يتولى أمورنا ويغفل عنا ...

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا وزاد فيه كبة شحم .. ثم قال : احمله علي ، قلت : أنا أحمله عنك .. قال : احمله علي (مرتين أو ثلاثا كل ذلك اقول : أنا أحمله عنك) .. فقال آخر ذلك : أأنت تحمل عني وزري يوم القيامة ؟ لا أم لك .. فحملته عليه فأنطلق وأنطلقت معه نهرول حتى أتينا إليها فأبقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول : ذري علي وأنا أحرك لك ، وجعل ينفخ تحت القدر (وكان ذا لحية عظيمة) فجعلت أنظر إلى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج أدم القدر ، وقال : ابغيني شيئا .. فأتته بصحفة فأغرقها فيها وجعل يقول : أطعميهم وأنا اسطح لك .. فلم يزل حتى شبعوا . ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه ... فجعلت تقول : جزاك الله خيرا ، أنت أولى بالأمر من أمير المؤمنين ... فيقول : قولي خيرا ، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتيني هناك إن شاء الله ... ثم تنحى ناحية ، استقبلها وربض مربض السبع فجعلت أقول : إن لك لشأنا غير هذا .. وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا .. فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علي فقال : يا أسلم ، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت فيهم ...

ومن هذه القصة الطريفة نستنتج أمورا كثيرة أهمها :-

أ - تواضع عمر (رضي الله عنه) واعتماده على نفسه وعدم تكبره أو شعوره بأنه غير الناس بدليل تلطفه بالطبخ وتقديم الطعام ...

ب - تفقده رعيته بنفسه وسهره ليناموا وتعبه ليستريحوا .

جـ - إيمانه بأن الوالي مسئول عن كل الرعية قريبهم وبعيدهم ، ومن يعرفه ومن لا يعرفه ، بدليل حرصه على إرضاء المرأة وإشباع عيالها ، وتأثره مما شاهد ، وعدم رده عليها فيما قالت عن الخليفة ..

د - شعوره بأنه مسئول عن الجماعة والفرد ...

هـ - رغبته في الأجر والمغفرة من الله حيث أصر على حمل العدل فوق ظهره .. وبقاءه حتى اطمأن عليهم ..

وهنا ناحية مهمة يجب التنبه لها وهي أنه قد يقول قائل إن أيامنا لن تكون مثل عمر (رضي

الله عنه) .. إن أولئك الرجال قد اصطفوا لخلافة رسول الله (ﷺ) ولن تلد الدنيا مثلهم ...

والجواب :- إن هذا القول حق في أنهم أفضل منا وأعدل وأحكم .. ولكن المسلمين مدعوون لتقليدهم والعمل بمثل عملهم على قدر الاستطاعة وعلى ما يناسب العصر الذي نعيش فيه ... ورسول الله ﷺ يقول : وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ...) .

ونحن في زمن كثرت فيه وسائل الحياة وأسباب الرفاهية وسبل العيش ولكنهما تحتاج إلى حسن تصرف ووضع الأمور في نصابها وذلك ممكن إذا صدق العزم وحسنت النية ...

ضيافة يعجب الله منها :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إني مجهود ، فأرسل رسول الله إلى بعض نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك .. فقال رسول الله ﷺ : من يضيفه ، يرحمه الله . فقال رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة ، فقال : أنا يارسول الله ، فأنطلق إلى حله ، فقال لإمرأته : هل عندك شيء ؟ فقالت : لا إلا قوت صبياني .. فقالت : قال : فعلليهم بشيء ثم نوميهم ، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فاطفئيه .. ففعلت ، وقعدوا ، فأكل الضيف وباتا طاويين . فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال له : قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة ...

هذه قصة قد تتكرر في ذلك المجتمع .. ويهمنا هنا أن ندرك إلى أي مدى كانوا يرعون المحتاجين ويخلطونهم بأنفسهم وأموالهم ويقدمونهم على حاجتهم الملحة يرجون بذلك ثواب الله ، فهل يعي ذلك أولئك الذين أفسدت التخمة معداتهم ، وقضت أصناف الأكل على شهيتهم وما زالوا يبحثون عن الملذات ... وينسون أن هناك من ليس في بيته شيء ... ورسول الله (ﷺ) أعظم أسوة فليس في بيوته سوى الماء لو علموا ذلك لتفقدوا جيرانهم والمحتاجين من إخوانهم المسلمين .. ويوم يفعلون ذلك فلن يبقى في المجتمع المسلم فقراء ولا محتاجون ...

التشريع الإسلامي في مصلحة المرأة

الاستاذ / احمد محمد جمال
أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى

ما زالت هناك أصوات منكرة ترتفع في بعض صحفنا ومجلاتنا مع الأسف الشديد ، هامسة تارة وصارخة تارة أخرى بمزيد من تحرر المرأة السعودية من احكام دينها ، واعراف بيئتها .

ولذلك نجد انفسنا – بين حين وآخر – مضطرين إلى تنبيه المواطنين والمواطنات وتحذيرهم من أخطار الأفكار التي تتنادى بها هذه (الغربان) النواعق ، مع التذكير بما تكشف عنه العلوم والتجارب الحديثة في المجتمعات المتحررة والمنحرفة عن الصراط المستقيم – من حقائق توعيد التزام الاتجاه الإسلامي في تنظيم الأسرة ، وتكريم المرأة ..

ونبدأ بما حققته الهيئة الطبية الهندية – خلال دراستها وتجاربها التي أجرتها على نحو (٢٥٠٠) امرأة مريضة بسرطان الرحم في بومباي .

يقول رئيس الهيئة الطبية المتخصص في أمراض السرطان المتنوعة الدكتور (بسى ابن زاهي) : لا شك أن هناك علاقة بين الختان وسرطان الرحم حيث وجد أن إمكانات وجود السرطان في أرحام السيدات اللاتي ختن أزواجهن أقل منها في غيرهن ممن لم يختتن أزواجهن ، ولأن الختان لازم لكل مسلم فقد وجدنا أن الزوجات المسلمات محصنات ضد سرطان الرحم إلى حد كبير .

قلت : هكذا أثبتت الأختبارات الطبية الحديثة : إن الإسلام لا يشرع للإنسانية من أحكام وآداب إلا لمصلحتها العقلية والجسدية معا .. فالختان الذي هو واجب في حق الرجال وسنة في حق النساء ، وقد جاء ومنه في الحديث النبوي إنه (من سنن الفطره) يمنع من إصابة أرحام الزوجات المسلمات بالسرطان ، ولذلك يتعرض الزوجات غير المسلمات لهذا الداء الوبيل لأن أزواجهن غير مختونين ! .

وهذا اكتشاف علمي آخر تذكره المجلة الطبية البريطانية وهو أن السرطان الخبيث (الميلانوما)

الذي كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن يتزايد إنتشاره بين الفتيات اللاتي هن في مقبل العمر ، وفي سن الصبا والشباب حيث يصبن به في الأجزاء المكشوفة من أجسادهن ، وبخاصة سوقهن وأقدامهن وأذرعهن . ولاشك أن سبب إنتشار هذا الداء الخبيث هو شيوع الأزياء القصيرة التي تعرض أجساد النساء لأشعة الشمس المحرقة فترات طويلة على مر السنة ولا تمنع من الإصابة الجوارب الشفافة أو النايلون .

قلت : إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تروى هذا الخبر – وهي تخاطب النساء به : (إن رسول الله ﷺ أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن على أن تكن محتشمات الملبس) .

أي لا بأس بخروج المسلمات إلى الأسواق لقضاء حاجاتهن أو لاداء أعمالهن كالطبيبات والمدرسات في المحيط النسائي .. ولكن بشرط أن يكن مرتديات ثيابا ساترة لعامة أجسادهن ما عدا الوجه والكفين إذا لم يكن في الطريق رجال ينظرون إليهن .. فإذا كان هناك رجال وجب عليهن حجب وجوهن كما وجب على الرجال غض أبصارهم .

وحكمة المنهج الإسلامي في حجاب المرأة وستر جسدها .. حكمة مزدوجة فهي إخلاقية أولاً – ثم هي كما أثبت العلم الحديث اليوم : صحية وطبية ثانياً .

وهذا الأزدواج في مقاصد التشريع الإسلامي قد ثبتت حكمته ورحمته في تحريم الخمر ولحم الخنزير والتدخين وغيره .

فتحريم هذه الموبقات : فيه مصلحة صحية للعقل والجسد ومصلحة أخلاقية ومصلحة مادية أي اقتصادية تمنع من إنفاق المال في ما يضر بالمسلم عقلاً وجسداً ومالاً .

هل المرأة مظلومة ؟

وهل المجتمع العربي أو الإسلامي متحيزا دائما إلى الرجل ؟ ولماذا أكثر التشريع الإسلامي – قرآنا وحديثا – من ذكر الرجل دون المرأة ؟ . ولماذا وعد القرآن الكريم رجال المؤمنين بجنات وعيون ، وحورعين كأمثال اللؤلؤ المكنون ؟ هذه المسائل تتردد كثيرا في الزوايا النسائية من الصحف والمجلات العربية ..

إن المرأة .. في التشريع الإسلامي : أفضل بنات جنسها على وجه الأرض ، منذ جاء الإسلام نوراً وهدى للناس .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وواقع المسلمين اليوم ، وقبل اليوم – لا يجعل الإسلام مسئولاً عن أخطائهم .. لا بالنسبة للمرأة وحدها ، ولكن بالنسبة للرجل أيضا ، وبالنسبة لشئون الحياة المختلفة جميعاً .. وهذا موضوع يطول الكلام فيه ، فلنعد إلى حديث (المرأة) وحدها .

فالمرأة المسلمة .. منحت حقوقا ، وحملت مسئوليات .. جعلتها صاحبة شأن وصاحبة سلطان ، في بيتها وأسرتها ومجتمعها ، كما جعلتها في حمى منيع وعرش رفيع من المحبة والبر والأحترام والتقديس . لقد أعطى الإسلام المرأة حق

الأستذان والاستمار في الزواج ومنع وليها من عضلها – واعترف لها بشخصيتها في البيع والشراء ، والهبة والوصية كما اعترف بشخصية الرجل في هذه الشئون وأمثالها تماماً ، وأذن لها بأن تختلع من زوجها إذا رغبت عن العيش معه لأسباب وجيه مشروعة .

والاختصاصات المحدودة التي اختصت الشريعة الإسلامية بها الرجل : اختصاصات طبيعية تتعلق بقدرة الرجل التكوينية ، ومثلها الاستثناءات المحدودة التي استثنت الشريعة الإسلامية بها المرأة فهي استثناءات طبيعية تتعلق بتكوين المرأة العاطفي الرقيق الذي لا يتحمل هزات الأحداث الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الانساني الصاخب ، ولا أدل على صحة نظرة الإسلام في تحميل الرجل المسئولية بمقدار أوسع واثقل من المرأة – من أن المرأة نفسها بطبيعتها التكوينية – مهما نالت من علم وثقافة وحملت من شهادات جامعية – تركن وتسكن إلى الزوج القوي الذي يشعر بمسئوليته نحو زوجته وبيته وأطفاله أكثر من ركونها وسكونها إلى الزوج الضعيف اللطيف الذي يرمي حبلها على غاربها ، ولا يشعرها بأنه رفيقها ورائدها وقائدها في طريق الحياة ، هذا الطريق التي ليست – كما تتصور المراهقات – خيالات سينما ولا أحلام غناء .

أما أن التشريع الإسلامي – قرآنا وسنة – أكثر من ذكر الرجل دون المرأة فهذا وهم محض .. فالمرأة والرجل مكلفان معا بما وجه في القرآن والحديث النبوي تحت اسم (يا أيها المؤمنون – يا أيها الذين آمنوا – يا أيها الناس ..) وورد في القرآن الكريم : ﴿ من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن .. فنلحيينه حياة طيبة الخ ﴾ وكما قال القرآن (قل للمؤمنين – قال : قل للمؤمنات ..) وجاء في القرآن أيضا : ﴿ إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات – الخ أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ وقال الله عز وجل : ﴿ .. أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم من بعض الخ ﴾ .

وجاءت الأحاديث النبوية بمثل ذلك أو أكثر منه .. أما ما جاء في القرآن من ذكر الحور العين .. اللاتي هن كأمثال اللؤلؤ المكنون . أو البيض المكنون .. فأوصاف تحسد عليها النساء ، وهي من المزايا (لهن) وليست (لهم) وقد جاء في مقابلها ذكر الغلمان والولدان ، المخلدين ، والذين هم أيضا كأنهم لؤلؤ مكنون ، فلهن نصيب ، وللرجال نصيب .. من متاع الجنة ونعيمها بلا تمييز .

الأمومة أولا !

عرضت محررة الصفحة النسائية بإحدى الصحف العربية في إفتتاحية الصفحة مشكلة زوجين اختلفا بعد أن أنجبت الزوجة مولوها الأول – اختلفا على خروج الزوجة للعمل ، وترك مولودها في شهره الثاني للخادمة أو لوالدتها أو لوالدة زوجها .

وكان المولود الأول ابنة . ومما جادل به الزوج زوجته قوله ، (لا أريد أن تتربى ابنتي في حضن خادمة .. حضرت من بلاد بعيدة وبتقاليد وعادات بعيدة عنا كل البعد . لا أريد أن ترضع أبنتي أفكار هذه الخادمة . وبمعنى أصح لا أريد جيل الخادمات ! .

وعندما اقترحت الزوجة – أم الطفلة – على زوجها أن يذهب كل صباح بابنته إلى أمه أجابها بأن أمه قد تعبت في تربيته وتربية إخوته .. وأصبحت في سن تحتاج فيه إلى الرعاية فكيف يترك عندها طفلة تحتاج إلى مجهود كبير لرعايتها وخدمتها ؟ ثم إن خروج الطفلة الصغيرة في هذه السن المبكرة كل صباح وعودتها بعد الظهر يعرضانها لكثير من الأمراض .

فقدمت الزوجة إقتراحا آخر .. وهو إدخال طفلتها دار الحضانة – فاعترض الزوج بأن في الذهاب بالطفلة ذات الشهرين صباحاً ، والعودة بها ظهراً مشقة وإرهاقا لها – ثم أضاف : ان الصغيرة تحتاج إلى الرضاعة من ثديك . وإلى حنانك وحبك .. فهما مهمان لنمو صغيرتنا .

وكان ختام الحوار بين الزوجين إن الزوجة قالت : سأفكر في الأمر . فهذه ليست مشكلتي وحدي .. بل هي مشكلة الكثيرات أمثالي .

ثم طرحت محررة الصفحة السؤال عن حل لهذه المشكلة التي تعاني منها الكثيرات من بنات حواء ؟؟ .

إن الحل موجود وواضح وميسر ويجب الأخذ به دون نزاع أو خلاف .. لأنه الحل الطبيعي الذي خلقت المرأة من أجله ، وهيئت له ، وهو الحل الشرعي والقانوني أيضا .

إن الله تبارك وتعالى خلق الرجل لمهمة أو الوظيفة محددة ومقررة ، وهيأه لها ومنحه كل الإمكانات ليقوم بها خير قيام – وكذلك المرأة خلقها لمهمة أخرى مكملة للمهمة الأولى ، ومتممه لها ويجب عدم الخلط بين المهمتين ، أو تبادلهما بين الرجل والمرأة .

أو لسنا نؤمن بالله رباً خالقاً مدبراً لخلقه بالحكمة البالغة والعدالة السابغة ؟ أو لسنا نقرأ كلامه وأحكامه في قرآنه المجيد حيث يقول عز وجل : ﴿ الرجال قوامون على النساء .. بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ ويقول أيضا ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ .

ثم نقرأ في حديث الرسول ﷺ التوجيه إلى بر الأمهات مضاعفا ثلاث مرات عن بر الآباء : (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك) كما نقرأ قوله ﷺ : (الجنة تحت أقدام الأمهات) .

ومع ما نرى رأي العين من تجارب الأم غير الإسلامية .. التي خالفت فيها النساء قوانين الطبيعة ، فاشتغلت بأعمال الرجال ، وتركت البيوت والأزواج والأولاد للخوادم والحواضن – نرى تشرد الأولاد ، وعقوقهم لآبائهم وأمهاتهم إذا كبروا ، وانقطاع صلة القرابة والصهر بين الإخوان والأخوات والعمات والخالات والأعمام والأخوال .

أقول : مع ما نقرأ في كتابنا وحديث رسولنا .. ونرى من تجارب المخالفين لسنن الطبيعة البشرية والعلاقات الزوجية – نرتكب المخالفة نفسها دونا إتعاظ أو اعتبار . ونهدم بيوتنا بأيدينا ونشرد أولادنا ونفسد أخلاقهم ونقطع علاقاتهم بنا .

أيتها الزوجات العاملات : إعملن ماشئتن في المحيط النسوي . قبل الزواج وبعده .. حتى إذا احتاج الزوج والولد إليكن عدن إلى البيوت وإلى الأزواج والأولاد ، فإذا كبر الأولاد ، واستغنوا عنكن عدن إلى العمل مرة أخرى فالأمومة وحق الزوج وحق الولد أولاً .. ثم العمل .

في البدء .. كانت المرأة

خواطر وتأملات

عبد الرحمن بن محمد السدحان
الأمين العام لمجلس الخدمة المدنية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الهادي الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .. إلى يوم الدين .

أصحاب السمو والفضيلة والسعادة .. أيها السادة والسيدات .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

فمن النبل والوفاء لهذا التراب الغالي أن تعني جمعيتكم الفتية بهم الوطن والمواطن ، فتستقطب العقول وتستكتب الأقلام .. تشاطرها الهم طرحا واستنتاجا ! وكم هي حاجتنا ملحة هذه الأيام ، أكثر من أي وقت مضى ، للالتفاف حول هذا الهم لنعرف أين نقف منه ، وكيف نقف ، ونتلمس سبل الغلبة عليه تطويعا لأرادتنا في العيش الأبيّ الكريم في ظل هذا العهد الزاخر بإشراقه الخير الذي يرعاه الفهد المفدي وسمو عضده القويّ الأمين .

إن بلادنا ، أيها السادة والسيدات ، تعيش نقلة حضارية تأخذ بكل نواصيها ، نعم .. حققنا بفضل الله الكثير مما كنا نصبوا إليه أو نحلم به ، حققناه عبر فترة قياسية يندر أن يكون لها مثيل في ذاكرة الزمن القريب والبعيد سواء ، **ونحمد الله من أعماقنا أن مكننا من ذلك بعيدا عن فتنة الأفراط في الأنبهار بما حققه إنسان العصر الحديث أو التفريط بأغفال موروثنا الروحي القويم ، نحمد الله إننا خضنا ولا نزال نخوض (ملحمة) التنمية دون أن يدركنا الغرق في هامشيات التقليد البليد ، أو نضطر إلى تزوير هويتنا ، كما فعلت شعوب أخرى تنكرت**

---

* كلمة أعدها وقرأها الكاتب أمام ندوة جمعية الجنوب النسائية الخيرية مساء يوم الثلاثاء ٢٣ شعبان ١٤١٠هـ

لنفسهـا ، فأنكـرتها نفسهـا ، وإنكرهـا الآخرون ! .

ثم الحمد لله أولاً وأخيراً ، إن مكننا من استثمار موارد الطفرة الاقتصادية التي أمّت بلادنا حينا من الدهر ، فأقمنا هياكل بنيتنا الأساسية في المجالات المختلفة ، صناعةً وزراعة وتعليمـاً وخدمات صحية وحضارية وترفيهية ، استطعنا أن نحقق للإنسان السعودي الجزء الأكبر مما يطمع فيه ويطمح إليه .

ورغم ذلك ، رغم كل الإنجاز الذي تحقق لنا بفضل من الله ثم بفضل الريادة المخلصة والقيادة الحكيمة التي خص الله بها هذا البلد الأمين ، تظل عقولنا مثقلة بالأمال ، وتبقى أحلامنا مشبعة بالطموحات نحو الأفضل ، في كل درب من دروب حياتنا ، نظل أيها السادة والسيدات نحلم بغد أفضل من يومنا ، مثلما كان يومنا هذا حلم أسلافنا ! نظل نطمح أن يكون حالنا في الغد ، أثرى مما يأتي لنا اليوم ، ذلك هو صراط الحياة : رحلة لا تكل ولا تكمل : من هجير الحلم إلى واحة الأنجاز ! .

أيها السادة والسيدات :

لقد أخترتُ لهذه الوريقات عنواناً يجسد خصوصية المرأة في حياة البشر ، أولين وآخرين وإلى أن تقوم الساعة (في البدء كانت المرأة) وأعني بذلك التشديد على دور المرأة في منظومة الحياة فهي عضد الرجل ، تكمله ولا تنقصه ، وتعينه ولا تعين عليه ، هي واحة الحنان الذي يتفيأ به من هجير الخطوب ، هي رفيقُ دربه ، وأنيسُ داره ، وشريكُ فرحه وترحه ! .

وإذا فحديثنا هذا المساء عن المرأة ومن أجلها ، وهو موضوع محفوف بشيء من حذر ، لا لأن الخوض فيه منكر ، لكن لأن القول فيه أو عنه بما يجانب العدل والصواب هو المنكر نفسه ! .

أيها السادة والسيدات :

لقد جئت هذا المساء بدعوة كريمة من هذه المبرة الخيرة لأتعلم مما أسمع لا لأضيف شيئاً ما أو قول ، جئت لأشارك في الحديث عن فتاة الوطن لا لأتحدث عنها ، وهي التي لا تحتاج إلى من يتحدث نيابة عنها ، فأعمالها الظاهرة والباطنة تحكي سيرتها العطرة في خدمة وطنها رغم ما قد تواجه من صعوبات ترتبها بعض الحيثيات الأجتماعية التي تكيف وجودها ، لقد أقتحمت فتاتنا أكثر من ميدان ، بحماس وجرأة وصبر ، غير ناسية ولا متناسية أطراف المعادلة الأجتماعية التي تسير تحركها ضمن مجتمع يدين بتعاليم سماويه ، ويطبق نبراسا مقدسا يكيف أقواله وأفعاله ، **كان تحرك الفتاة رائعا جمع بين لوازم الفطرة ونبضات النمو الحالم بغد أفضل ، أثبتت هذه الفتاة أنها تستطيع أن تعيش (هويتها الإسلامية) في الميدان ، كما في البيت ، وأن توفق بين الدورين ، وأن تمنح الغلبة للبيت عندما يتحول العمل إلى عنصر اجهاض لخيار الزوجة أو الأم ! .**

أقول وكلي شعور بالفخر **إن فتاة وطننا**

اجتازت الأمتحان الذي أخفقت فيه كثيرات من شقيقاتها المسلمات في أكثر من موقع ، فصمدت أمام تيارات حداثة الحس وسلوكياته ، واعتصمت بدينها وموروثها الأصيل ، ونات من العلم ما يلبي حاجتها للاسهام في إسعاد الوطن ، جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل ! .

ولذا ، فليس لي مأخذ على فتاة هذا الوطن سوى تشكيكها أحيانا في نفسها وقدرتها على استنفار طاقاتها خدمة لوطنها ونفسها ، **أو الاستسلام للوهم الخاطيء بأن (خدمة الوطن) لابد أن تمر من (بوابة) الوظيفة الحكومية** ، فإن تعذرت هذه الوظيفة لسبب من الأسباب نال منها الإحباط كل منال ، **وتصورت أن كل ما فعلته في أمسها ويومها تحت مظلة (التحصيل العلمي) قد إنتحر في مذبح الوظيفة ، وصار نسيا منسيا** ، هذا الحديث لا ينسحب على الفتاة فحسب ، بل يشمل الفتى أيضا ، ولكن الفتاة خصت بالذكر هنا لأنها هاجسنا هذا المساء .

نعم .. يفترض أن يؤدي كل مواطن ومواطنة وظيفة ما ، أن يستثمر تعليمه وتحصيله وقدراته لأداء واجب معين ، يصب عطاؤه في رافد الوفاء لهذا الوطن ، **لكل من قال أن هذا الواجب أو ذلك الأداء لا يتأتى إلا من خلال الوظيفة الحكومية ، ان وظيفة الدولة ليست إلا جسرا للعبور نحو الوطن : خدمة ووفاء** ، لكنه ليس الجسر الوحيد ولن يكون بأي حال ، والفتاة التي تعتقد بأن هذا سبيلها الوحيد مخطئة الظن ، مجافية للعدل لنفسها ولوطنها **فهي** كزوجة تخدم وطنها ، بتهيئة مناخ البيت الصالح لنفسها وزوجها وأسرتها ، وهي كأم ، ترعى نبته الوطن ممثلة في ذريتها ، برعايتها رعاية صالحة ، وتوجيهها توجيها حسنا وسويا لتكون في غدها أهلا للمواطنة الصالحة ، شعارا وعدةً وسلوكا .

ليست بهذا أدعو لإعادة المرأة إلى البيت ، كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان **لأنها في الأصل لم تغادر البيت ، ولن تغادر بأذن الله** ، ستبقى المرأة عصب الأسرة وسنامها ، وبدونها ، تنتهي مؤسسة (الأسرة) .. تصير حطاما ! إن مشاركة المرأة شقيقها الرجل بعض تبعات التنمية ضمن حدود الشريعة الغراء لا يعني بأي حال أنها قد تخلت عن البيت لصالح الوظيفة ، أيا كان حجمها أو موقعها ، فهي ، **تؤدي واجبها العام ، ما دام ذلك لا يتعارض أو يتناقص مع واجبها الخاص كربة أسرة ، وعندما يتبين لها أن خروجها من البيت يعرض واجبها الخاص للخلل أو العبث أو الضياع ، فإنها سرعان ما تستجيب لفطرتها ، فتؤثر البيت على ما سواه .**

أيها السادة والسيدات : أستأذنكم في اختتام هذه المداخلة ببعض التأملات والملاحظات التي قد تكون ذات قيمة ، وأوجزها في التالي :

أولا : إن طلب العلم من لدن الفتاة ضرورة لا ترف ، وهو أمر يجب أن تسعى إليه وتحرص عليه ماوسعها إلى ذلك من سبيل ، **فهي** تشارك الرجل المسئولية في تشكيل جيل الغد ، تكوينا وتربية وعطاء ، وقد راعت حكومة خادم الحرمين

الشريفين وسمو ولي عهده الأمين أيدهما الله - راعت هذا الجانب ، فأنفقت ولا تزال تنفق مئات الملايين من الريالات تيسيرا لتحصيل الفتاة علمياً وتربوياً ، وهي حريصة كل الحرص على بذل المزيد من الجهد والمال لمضاعفة المكاسب في هذا السبيل .

ثانيا : إن الدعوة لمشاركة المرأة بعض أعباء الرجل على صعيد الحياة العامة ، بما لا يتناقض إنها دعوة حق أريد بها حق ، لأن المرأة والرجل ، رغم اختلاف خصوصياتهما ، يظلان رافدين لنماء المجتمع وبقائه ، فهناك مجالات عمل يختص بها الرجل ، فطرة وعطاء ، مثلما أن هناك مجالات عمل يختص بها الرجل ، ولا يحتمل أن تفلح في ادائها المرأة أبدا ، وأضرب لذلك المثل بمهنتي التمريض والهندسة ، فالمرأة تتفوق في الأولى ، أكثر من الثانية ، لأسباب كثيرة لا أحسبها تغيب عن فطنة أحد ، وهناك مهنة التعليم ، حيث يمكن أن تسد المرأة فراغا كبيرا في إشباع الحاجة إلى متخصصات في هذا المجال تغني البلاد عن العمالة الوافدة ، وتدل المؤشرات الإحصائية الراهنة اكتفاء ذاتيا كاملا أو يقرب من الكمال في مدارس المرحلة الابتدائية للبنات ، يليها تدرجا المرحلتان المتوسطة والثانوية .

ثالثا : نأتي أخيرا إلى قضية توظيف المرأة ، وهي قضية تأخذ بألباب الكثيرين والكثيرات من أبناء وبنات هذا الوطن ، وهم لا ريب ذوو حق فيما ذهبوا إليه من حيث المبدأ ، فالأصل أن تمكن المرأة المؤهلة من خدمة بلدها بتعيينها في وظيفة تتلاءم مع اختصاصها ، وظروفها الفردية والاجتماعية ، لكن إخضاع هذا المبدأ للتطبيق يظهر لنا بعض المفارقات التي لا بد من معرفتها للتعرف على الإشكالية القائمة في تعثر بعض طلبات التوظيف ألخصها في الآتي :

(أ) فالوظيفة قد توجد في مقر غير مقر إقامة الفتاة ، لكنها لأسباب أسرية واجتماعية لا تستطيع شد الرحال إلى مقر الوظيفة والإقامة به كي تؤدي واجباتها ، ومن المتعذر في أغلب الأحوال انتقال الأسرة أو جزء منها إلى مقر الوظيفة ، مرافقة للفتاة ، كما أنه يتعذر تنظيميا واداريا ، شغل الفتاة لوظيفة لا تباشر مهامّها ، كما لو كان التوظيف غاية تقف عند ذاتها ، لا وسيلة تقترن بتحقيق الغاية منها ، وهي خدمة الناس ، في هذا الموقع أو ذاك .

(ب) وقد توجد الوظيفة في مقر إقامة الفتاة ، لكنها لا تتفق تخصصا مع تحصيلها ، فيتعذر شغلها لها ، لانتفاء شرط أساسي من شروط الجدارة في شغل الوظائف فالأصل أن تشغل الوظيفة بمن هو قادر على أدائها من ذكر أو أنثى ، اقتداء بقول الرب تبارك وتعالى (إن خير من استأجرت القوي الأمين) والتخصص أحد معايير القدرة ، تحديد وقياسا .

ومن جانب آخر ، فإن توظيف الفتى أو الفتاة بوجه عام يخضع لمعادلة العرض والطلب ، فهناك تخصصات تتطلبها التنمية ، والحاجة لها ملحة ، كالطب ، ومشتقاته ، ولذا لا يوجد إشكال في توظيف خريجي التخصصات الطبية ،

لكن الأشكال بالنسبة للجنسين ، يكمن في وجود ما يشبه الطفرة الكمية في بعض التخصصات النظرية ، كالتاريخ والجغرافيا والاجتماع ، إذ لا توجد فرص وظيفيه بالقدر الذي يسهل معه استيعاب جل الخريجين والخريجات ، وإذا كانت المشكلة القائمة حرجة بالنسبة للخريج ذي التخصص النظري ، وهو القادر على ملاحقة الوظيفة وتطويع ظروفه من أجلها ، فهي بالنسبة للخريجة أشد حرجا .

لكننا نعود إلى نقطة البدء في هذا العرض فنقول إنه إذا كانت الغاية من تعليم الفتى أو الفتاة الفوز بوظيفة ما فحسب ، دون أي اعتبار آخر ، فإن هذا السبب وحده لا يبرر مغامرة الأستثمار الطويل من أجلهما : مادة ووقتا وجهدا ، فالغاية من التعليم كما أفهمها ، وكما يفهمها كل غيور على مستقبل هذا البلد ، إنسانا وترابا ، إعداد المواطن الصالح (من ذكر وأنثى) ، ومده بالقدرات الذهنية والنفسية التي تمكنه من تطويع الظروف ومحصلات البيئة لخدمة نفسه ، أولا ، ثم مجتمعه ، بغض النظر عن الموقع الذي يشغله ، والكيفية التي يترجم بها وجوده وعطاءه ، والمواطن المتعلم ، في مواقف كثيرة ، أنعم حظا من المواطن الذي لم يدرك حظا من التعليم ، لأن الأول قادر على طرق أبواب العطاء ، وهذا لا يعني أن كل متعلم مبدع بالضرورة ، وإن كل من سواه عاثر الحظ ، **فالحياة نفسها جامعة كبيرة ، مادتها الخبرة ، وناموسها الحكمة ، وصراطها القدرة على استثمار الخطأ بحثا عن الصواب** ، عبر السنين والأيام ، ونحن في كل الأحوال مدينون بالثناء لكل الذين سبقونا في اللحاق بشرف خدمة الوطن ، في مواقع مختلفة ، ونعتبرهم مصدر إلهام لنا جميعا ، حكمة وخبرة وتضحية وصبرا ، سواء من رحل منهم ، ومن هو باق .

خاتمة

أيها السادة والسيدات ، لم يكن عزمي قط أن أكون محاضرا أو متحدثا هذا المساء ، لأنني كما أسلفت . أؤثر الاستماع بحثا عن الفائدة ، لكن جمعكم الكريم ، والمناخ الفكري العطر المحيط بهذه الأمسية أملي على هذه الباقة من الخواطر المبعثرة ، التي أرجو ، رغم عجالتها ، أن تحرز بعض النفع .

شكرا لإصغائكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

وقفة شعرية

من قصيدة : حوار على أرض الجوف

الدكتور
احمد بن عبدالله السالم

من أمسية شعرية أقيمت بمؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية يوم السبت ١٤١١/٢/٢٦هـ – الموافق ١٩٩٠/٩/١٥م .

سللتك سيفا في وجوه عدونا ... فجئت على أرضي وشعبي مساوم
وما للعراق الحر أرجف شعبه ... مسالمه قد صار غير مسالم
أتطلب أمنا للبلاد وشعبها ... وقد شيدت جدرانها بالجماجم
أتوصي جيوش الغزو أن يتربصوا ... وربك يوصي خلقه بالتراحم
رسمت لوجه العرب أبشع صورة ... لوجه وقد لونتها بالطلاسم
وفي دولة كان الأمان غطاءها ... قدحت غطاء الشر دون تفاهم
أتطلب أن يبقى بها الأمن نائما ... وأنت ومن جندته غير نائم
لقد لبست من فرحة الثوب عيدها ... فألبستها صدام ثوب المآثم
وتلك التي يسبي العقول جمالها ... تغير فيها اليوم كل المعالم
فلم تتركوا فيها شرابا لشارب ... ولم تتركوا فيها طعاما لطاعم
ولم تتركوا فيها مكانا لقاعد ... ولم تتركوا فيها مقاما لقائم
ولم تتركوا فيها فطورا لمفطر ... ولم تتركوا فيها سحورا لصائم
ولم تتركوا فيها مدادا لكاتب ... ولم تتركوا فيها كتابا لعالم
ولم تتركوا فيها ضياء لناظر ... ولم تتركوا فيها هواء لناسم
ولم تتركوا فيها طريقا لخارج ... ولم تتركوا فيها حصيرا لنائم
ولم تجعلوا فيها وفاء لمحسن ... ولم تنصروا فيها جزاء لظالم

وأسواقهـــا تبكـــي على زنقـــاتها ولـــيس بها إلا بقايـــا الجماجـــم
وأرضي وإن جئتم ضيوفا تقلكـــم ولـــــيس بها شبر لبـــــاغ وآثم
يدافع عن هـــذي البـــلاد شبـــابها ومن خلفهـــم أحفادهم في الدعـــائم
على الأرض أسد كشرت عن نيوبها وفي الجو جنـد كالنسور القشاعـم
وللبـــيت يـــا صدام رب يصونـــه مـــن الحاسديـــن الحاقديـــن الشراذم
ألم يك درس الفيـــل صدام كافيـــا حماه بسجيـــــل الطيــــور الحوائم
عزمنا وكان العـــزم بـــالله وحـــده ومـــا نحن ممن يهتـــدي بـــالتمائم
حـــذارك منـــا غضبـــة مضريـــة تقـــود إلى يوم من الدهـــر قـــاتم
بذلنا فكـــان الـــرد منكـــم بضده نسيتم فأطلـــقتم عنـــان الشتـــائم
وكنتم كمن من جوعه يأكل الحصى وكنـــا بما نعطـــي ونجزى كحـــاتم
أريدك أن تعطي الكويت لأهلهـــا وتسحب عن هـــذا المكـــان المتاخـــم
مبـــادرة تمحـــو بها ذل مـــا مضى وتفضي إلى عهد من السلم قـــادم

التعليم والتنمية

في المملكة العربية السعودية

الدكتور

حمود عبد العزيز البدر

مقدمــة :

سوف يتناول هذا البحث ثلاثة جوانب أساسية لمسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية . هذه الجوانب هي :

أولا : البدايات الأولى للتعليم ، وعلاقاتها بالتنمية .

ثانيا : الوضع الحالي للتعليم ، ومدي مواءمة البرامج التعليمية الحالية لخطط التنمية .

ثالثا : نظرة إلى المستقبل ، أحاول أن أتنبأ فيها بحلول عملية للمواءمة بين التعليم والتنمية .

أولا : البدايات الأولى للتعليم

قبل العهد السعودي كانت قراءة القرآن ، وإلى جانبها تعليم مبادىء القراءة والكتابة وأوليات الحساب ، هي كل ما هنالك من تعليم ، وكانت تخضع مع ذلك للضرورة والحاجة الملحة ، وهكذا لم يكن سوي بعض الكتاتيب المتفرقة في إنحاء البلاد ، ومن أراد الاستزادة من الخاصة كان عليه أن يستمع إلى حلقات الدراسة في المساجد التي كان يدرس فيها العديد من التخصصات على يد العديد من المشائخ المتخصصين كل في مجال تخصصه . فهذا متخصص في علوم النحو وذلك في علوم الحديث وثالث في علوم الفرائض وهكذا .

وفي عام ١٢٩١هـ بدأت تظهر في الأفق بعض الارهاصات لظهور نوع شبه نظامي من التعليم ، وذلك بمبادرات شخصية ، وبفضل بعض الرواد من المهاجرين إلى الأراضي المقدسة ، وعلي

* محاضرة ألقيت في ٣٠ محرم ١٤٠٨هـ ضمن الموسم الثقافي لمؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية لعام ١٤٠٨هـ . وقد رأى المجلس الثقافي نشرها نظرا لقيمتها العلمية والتاريخية .

مدي سنوات متباعدة نوعا ظهرت بعض المدارس الشبيهة بالتعليم العصري ، هذه المدارس هي :

- المدرسة الصولتية وقد تأسست عام ١٢٩١هـ
- والمدرسة الفخرية وقد تأسست عام ١٢٩٨هـ
- والمدرسة الإسلامية وتم إنشاؤها عام ١٣٠٤هـ
- ومدرسة الفرح بجدة وقد أنشئت عام ١٣٢٣هـ
- أما مدرسة الفرح في مكة المكرمة فقد أنشئت عام ١٣٣٧هـ (٣ ص ٩) .
- كما أنشئت عام ١٣٣٤هـ مدرستا الهاشمية في جدة ، والاتحاد والترقي في مكة وكانت جميع المدارس خيرية (٦ ص ٣٠) .

ولم يكن في (نجد) قلب الجزيرة العربية ، ولا في إقليم الأحساء ، الجزء الشرقي من المملكة ، ما نستطيع أن نلحقه بهذا النوع شبه النظامي من المدارس .

ومع استقرار الأحوال السياسية ، بعد تأسيس المملكة العربية السعودية ، كانت البداية لتعليم منتظم شمل أنحاء المملكة كلها ، ففتحت المدارس ، وأسست (مديرية المعارف العامة) للأشراف على تنظيم التعليم وتنسيقه ، وذلك عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) ، هذه المديرية هي التي تطورت فيما بعد وأصبحت وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ ، ومنذ إنشائها والتوسع في التعليم يزداد عاما بعد عام (٦ ص ٣١) .

ففي سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) أنشيء المعهد العلمي السعودي في مكة لسد حاجة المملكة من الموظفين والمدرسين ، وقد ألحق به قسم للقضاء عام ١٣٥٢هـ لسد حاجة القضاء في ذلك الوقت ، ولعله كان بداية التفكير في إنشاء كلية الشريعة التي ظهرت بعد ذلك بسبعة عشر عاما (٢ ص ١٤) .

وفي عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) أنشئت مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة وذلك لتحضير الطلاب للالتحاق بالكليات العلمية والتخصصات الأكاديمية الأخرى بالجامعات المصرية . ثم أنشئت دار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) وهي ما تزال قائمة حتى اليوم ، مع أختلاف في مناهج الدراسة عما كانت عليه بعد إنشائها . وكان نجاح نمط مدرسة دار التوحيد ، وسمعتها الطيبة سببا في التفكير في إنشاء المعاهد العلمية ، التي أنشيء أول معهد منها في الرياض عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) باسم المعهد العلمي بالرياض ، ثم توالي إنشاء العديد منها حتى بلغ (٣٧) معهداً عام ١٣٩٣هـ وما يزيد عن خمسين معهدا عام ١٤٠٤هـ (٢ ص ١٥ – ٢٠) .

وفي ظل المديرية العامة للمعارف بلغ عدد المدارس الابتدائية عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) (١٩٦) مدرسة ، كان يدرس فيها (٩٤٣) مدرسا ، وكان عدد تلاميذها (٢٣٨٣٥) تلميذا (٢ ص ٢٢) .

أما بعد إنشاء وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) فقد اتسع التعليم كثيرا ، ففي عام ١٣٩٤هـ بلغ عدد المدارس الابتدائية التابعة للمعارف (١٩١٧) مدرسة ، كان يدرس فيها (١٨٣٨٠) مدرسا ، وكان عدد تلاميذها

(٣٦٤٦٥١) تلميذاً ، وهذا تقدم في كمية التعليم لاشك فيه (٢ ص ٢٢) .

ومن المفيد أن نورد نبذة موجزة عن أهم معاهد التعليم التي سبقت الإشارة إليها للتعريف بها وبمناهجها وأهدافها :

المعهد العلمي السعودي :

أنشيء المعهد العلمي السعودي كما سبقت الإشارة إليه عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) وكان هدفه إعداد المعلمين ، وتزويد الدوائر الحكومية بالموظفين بما في ذلك إعداد القضاة .

والمعهد العلمي السعودي هو أول مدرسة حكومية ، فوق المستوى الابتدائي . وكانت مدة الدراسة فيه خمس سنوات ، يبعث المتفوقون بعدها إلى مصر للدراسة النظرية . أما بقية الخريجين فكانوا يوجهون لخدمة التعليم وأوجه النشاط الحكومية الأخرى (٢ ص ١٥) .

مدرسة تحضير البعثات :

وقد أنشئت كما ذكرنا سابقا عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) وكانت أول مؤسسة علمية على المستوى الثانوي بأسلوب التعليم الحديث ، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات ، زيدت سنة أخرى فيما بعد ، وأصبح فيها تخصصان : علمي وأدبي (٢ ص ١٥) .

وكان هدف هذه المدرسة هو إعداد الطلاب للالتحاق ببعثات خارج المملكة وبخاصة في التخصصات العلمية .

ولا تزال هذه المدرسة قائمة في مكة حتى الآن ، ويطلق عليها العامة اسم (المدرسة العزيزية الثانوية) بينما الاسم الرسمي هو : مدرسة الملك عبد العزيز الثانوية .

دار التوحيد :

كانت دار التوحيد نمطا جديدا من التعليم الموجه نحو تخريج مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وقد تم إنشاؤها على ما أشرنا إليه سابقا عام ١٣٦٤هـ .

وكان لإنشاء دار التوحيد تأثير كبير على مسيرة التعليم ، فقد كانت وسيلة لجذب أعداد من أبناء نجد ، الذين كان عدد منهم لا يجدون في نمط (تحضير البعثات) ما يجذبهم إلى مواصلة التعليم كما كانت تعد الطلاب لمواصلة التعليم في كلية الشريعة التي أنشئت فيما بعد .

وكان لدار التوحيد منهج فريد في أسلوبها ، فلم تكن تقتصر على التدريس الصفي ، بل كان لها نشاط كبير في المجالات غير الصفية .

ومع بداية (دار التوحيد) اتجهت الأنظار إلى إنشاء مرحلة أعلى ، لإستيعاب من يريد من خريجيها ممن يريدون مواصلة التعليم . وهكذا كانت بداية كلية الشريعة في مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) (٢ ص ١٦) .

معهد الرياض العلمي :

في عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) أنشيء هذا المعهد ، فكان فتحا جديداً في التعليم الديني

والتعليم العربي في منطقة نجد ، التي كانت آنذاك تخلو من مدرسة ثانوية ، ذات مستوى جيد . وقد أنشيء المعهد لسد الحاجة الشديدة إلى قضاة ومرشدين ودعاة ، فكان بعد ذلك هو المحرك الحقيقي لإنعاش المدارس فوق المرحلة الابتدائية ، التي كانت تتبع وزارة المعارف ، بينما كان هذا المعهد تابعا لسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله (٢ ص ٢١) .

ومعهد الرياض العلمي (أو المعهد العلمي بالرياض) هذا ، كان نواة المعاهد العلمية ، التي أنتشرت فيما بعد في جميع ربوع المملكة ، كا كان النواة الأولى للتعليم العالي ، الذي أصبح فيما بعد (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض) .

وزارة المعارف :

وقد أنشئت عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، إمتدادا للمديرية العامة للمعارف وتطويرا لها ، ومع إنشائها بدأ التعليم يتحول من بدايات متناثرة إلى عمل مركز مكثف ينتشر تدريجيا في الأتجاهين الأفقي والرأسي ، بهدف التخطيط والأشراف على تعميم التعليم العام في كل مكان (٦ ص ٣١) .

ومع بداية وزارة المعارف بدأ أيضا تطبيق النمطية في المناهج المدرسية بحيث لم يعد تأسيس المدارس يحدث استجابة لحاجة معينة ، وإنما يتم لتحديث البلاد ، ونشر التعليم بين أبنائها ، وأصبحت خطة غير مكتوبة أن تفتح المدارس في طول البلاد وعرضها ، وكلما سمحت بذلك الأمكانات المادية والبشرية .

واقتصرت مهمة وزارة المعارف على تعليم البنين ، ولكن بعد سبع سنوات من إنشائها توجهت الجهود الفردية ، لتعليم البنات ، بإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات ، فكان هذا بداية منطقية لرعاية هذا النوع من التعليم .

تعليم البنات :

فيما قبل ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) كانت الجهود المبدولة لتعليم البنات تكاد تعتمد علي جهود فردية ، فهناك الكتاتيب (المطوعة) التي تدرس القرآن ومبادىء القراءة والكتابة في أماكن متناثرة من المملكة ، و لم تكن أيضا منتشرة بدرجة إنتشار مثيلاتها من أماكن تعليم الذكور .

وفي السنوات القليلة السابقة لإنشاء الرئاسة العامة لمدارس البنات كانت هناك مدارس خاصة منتشرة في مكة وجدة ، وفي بعض المدن الأخرى ولكنها لم تكن بالوضوح والكثرة التي كانت بها في هاتين المدينتين .

وفي عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) قامت الحكومة بخطوة تعتبر جريئة ورائدة في وقتها إذ صدر الأمر بافتتاح مدارس للبنات تحت إشراف ورعاية الدولة على نمط ما هو معمول به بالنسبة للذكور ، إلا أن الأشراف على تلك المدارس أنيط بفضيلة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم .

وعلى الرغم من بعض المعارضات من بعض الفئات لهذا النمط المبرمج من التعليم إلا أن تصميم الحكومة على إتاحة الفرصة للفتاة على النهل من مناهل العلم ذلك تلك الصعاب ، وجمد تلك المعارضات .

وفي عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) كان عدد المدارس (١٥) مدرسة ، وعدد طالباتها (٥١٨٠) طالبة ومدرساتها (١١٣) . وفي عام ١٤٠٠هـ بلغ عدد المدارس (٢٣٤٩) مدرسة وعدد الطالبات (٤٨٢٣٣٧) طالبة بينما بلغ عدد المدرسات (٢٧٧٠٣) مدرسة (أنظر مرجع ١٢) .

وبلغت نسبة الفتيات في التعليم الجامعي ٢٦,٤ ٪ لسنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) مقارنة بنسبة قدرها ٦,٣ ٪ في عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) (١٣ ص ٩٢) .

وهذا التطور السريع ما هو إلا محاولة من المجتمع بجميع فئاته للحاق بما فات في هذا المجال الحيوي ، وهو مجال تعليم المرأة الذي يعتبر بعض الناس أن بدايته جاءت متأخرة ، بينما الواقع أن كل شيء مرهون بوقته ، ولو كان المجتمع مستعدا له من قبل لا ستجابت الدولة على ما أعتقد أبكر من هذه البداية ، ودليل عدم استعداد المجتمع تلك المحاولات لتأخير بدايته من قبل بعض المواطنين .

والنظام التعليمي الحالي يميل إلى الطريقة التقليدية في الشكل والمضمون ، فهو اطار يتكون من ست سنوات للابتدائي ، وثلاث للمتوسط ، وثلاث أخرى للثانوي . وهذا الإطار يشمل مدارس البنين والبنات .

ومن حيث المضمون فهو أيضا يميل إلى النمطية : أذ يميل إلى حشو أذهان التلاميذ بكميات من المعلومات بصرف النظر عن مدي استيعابهم لما يحفظونه . كما أن علاقة المضمون بما يحيط بالتلاميذ تعتبر علاقة غير وثيقة على الوجه الأعم .

وقد أدخلت تجربة المدارس الشاملة في المستوى الثانوي للبنين إلى هذا النمط من التعليم منذ ١٣٩٥/٩٤هـ (١٩٧٥/١٩٧٤م) ويظهر من خلال المشاهدة أنها تلاقي أقبالا طيبا بين أوساط التلاميذ وأولياء أمورهم .

وتسير جميع مراحل التعليم في المملكة العربية السعودية على أساس النظام الفصلي المكون من فصلين دراسيين مدة كل واحد منهما خمسة عشر أسبوعا عدا أيام الأمتحانات والتسجيل .

ثانيا . الوضع الحالي للتعليم

أ – التعليم ما قبل الجامعي :

سبقت الإشارة إلى الوضع الحالي للتعليم ما دون الجامعي مما يغني عن إعادته هنا لكن تجدر الإشارة إلى أنه ما أن ازداد عدد المدارس ، وانتشر التعليم تدريجيا في سائر أنحاء المملكة للبنين والبنات ، حتى أخذت بدايات التعليم العالي تأخذ طريقها للظهور ، ثم أخذت تتسع وتتسع حتى أصبحت المملكة تضم سبع جامعات لها اعتبارها في المنطقة ، بالإضافة إلى الكليات الخاصة للبنات وفروع الجامعات المنتشرة في أنحاء متفرقة من

المملكة ، تسهيلا على الطلاب وسعيا بالجامعات إليهم في أقرب الأماكن إلى مقر إقامتهم .

ب - التعليم العالي :

فأما الجامعات السبع القائمة حاليا في المملكة ، وبداياتها فهي على النحو التالي :

جامعة أم القرى :

كانت كلية الشريعة التي أنشئت في مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، هي أول كلية للتعليم العالي في المملكة ، وكانت غايتها إعداد مدرسي المواد الدينية والعربية ، لكي تسد حاجة المدارس من المدرسين فيما بعد المرحلة الابتدائية ، وكانت غايتها كذلك إعداد الدعاة الذين ينشرون الإسلام ، ويشيعون أفكاره السامية بمفهوم صحيح لواقع الإسلام (٢ ص ٤٣) .

وتضم جامعة أم القرى كلية للتربية التي كان يطلق عليها فيما مضي اسم كلية المعلمين التي ألغيت لعدم الإقبال عليها ، ثم أعيد افتتاحها بوصفها فرعا من كلية الشريعة ثم فصلت عنها باسم كلية التربية ، وهي تعد مدرسي اللغات والمواد العلمية والاجتماعية وذلك لسد حاجات المدارس بعد المرحلة الابتدائية من المدرسين ، وتعمل على إيجاد طبقة ذات ثقافة عالية وكفاية على مستوى عال ، يمكن أن يحقق الاكتفاء الذاتي في مجالها للمملكة .

وكانت كلية الشريعة وكلية التربية تتبعان وزارة المعارف ، ثم ضمتا إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩١/٩٠هـ (١٩٧١/١٩٧٠م)، ولما أعلن قيام جامعة أم القرى عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) كانتا النواة الأولى لكلياتها .

وتضم جامعة أم القرى كليات : الشريعة والدراسات الإسلامية ، وكليات التربية ، وكلية الدعوة وأصول الدين ، وكلية العلوم التطبيقية والهندسية ، وكلية اللغة العربية . وتتبع الجامعة أيضا كلية التربية في الطائف .

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

كانت هذه الجامعة تسمي في السابق (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية) التي كان نواتها الأولى معهد الرياض العلمي الذي أنشيء عام ١٣٧٠هـ ، (١٩٥٠م) ، وفي عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) سميت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (٢ ص ٣٥) ، ويتبعها كل من : كلية الشريعة بالرياض ، وكلية اللغة العربية في الرياض ، والمعهد العالي للقضاء ، والمعهد العالي للدعوة الإسلامية ، وكلية أصول الدين ، وكلية العلوم الاجتماعية ، التي كان يطلق عليها اسم كلية الدراسات الاجتماعية ، ثم عدل إلى الاسم الحالي عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

ولجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كليات في أماكن أخرى غير الرياض وهي كلية الشريعة واللغة العربية في أبها ، وكلية الشريعة واللغة العربية في القصيم، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الإحساء .

ويتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عدد من المعاهد العلمية يبلغ عددها أكثر من (٥٥) معهدا ، من بينها (٣) معاهد خارج المملكة . ويتبعها كذلك معهد لتعليم اللغة العربية في أندونيسيا ، وآخر في اليابان .

جامعة الملك سعود :

أنشئت جامعة الملك سعود عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) ، وكانت كلية الآداب أول كلية بدأت الدراسة فيها ذلك العام ثم تلتها في العام التالي كلية العلوم ، وتوالى بعد ذلك ضم وإنشاء كليات جديدة بلغت في مجموعها الآن (١٥) كلية ، بعضها يقع خارج مدينة الرياض. وكليات الجامعة هي : الآداب ، العلوم ، العلوم الإدارية ، الزراعة ، التربية ، الهندسة ، الطب ، طب الأسنان ، العلوم الطبية المساعدة ، الصيدلة ، وكلية الدراسات العليا ، ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها ومعظم هذه التخصصات مطروحة للبنين والبنات بشكل منفصل على بعضها البعض تماما (٢ ص ٢٣) .

وقد تقرر هذا العام إنشاء كلية علوم الحاسب الالي ، وكلية التصاميم البيئية والعمارة ، وستبدأ الدراسة بهما إن شاء الله في العام الجامعي القادم .

أما الكليات القائمة خارج مدينة الرياض فهي : كلية التربية في أبها ، وكلية الطب في أبها أيضا ، وكلية الاقتصاد والإدارة في القصيم ، وكلية العلوم الزراعية والبيطرة في القصيم كذلك .

جامعة البترول والمعادن :

أنشئت في بداية أمرها تحت اسم كلية للبترول والمعادن ، وكان ذلك عام ١٣٨٤هـ ، ثم حولت إلى جامعة عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) . وهيكلها التعليمي يتكون من (٧) أجزاء هي : السنة التحضيرية ، خمس كليات جامعية هي : الإدارة الصناعية ، التصاميم البيئية ، العلوم ، العلوم الهندسية ، والهندسة التطبيقية ، وكلية الدراسات العليا ، وهي خاصة بالطلاب الذكور فقط (٢ ص ٢٧) .

جامعة الملك عبد العزيز :

أولى كليات هذه الجامعة هي كلية الاقتصاد والادارة ، وقد افتتحت عام ١٣٨٨/٨٧هـ (١٩٦٨/١٩٦٧م) وكانت قد أنشئت كمجهود أهلي قام به عدد من رجالات المنطقة الغربية المهتمين بقضايا التعليم . وقد أصبحت جامعة الملك عبد العزيز مؤسسة علمية وثقافية عامة في عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) . وهي الآن تضم الكليات الآتية : الاقتصاد والادارة – الآداب والعلوم الأنسانية ، العلوم ، الهندسة والعلوم التطبيقية ، الطب والعلوم الطبية ، علوم الأرض ، علوم البحار ، الأرصاد والدراسات البيئية . وهذه الكليات مقرها مدينة جدة ، وتوجد للجامعة كلية للتربية مقرها المدينة المنورة . بها قسم للطالبات يتيح الدراسة لهن في معظم التخصصات المطروحة للأولاد (٢ ص ٣٠) .

جامعة الملك فيصل :

في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) أنشئت جامعة الملك فيصل ، ومقرها الأحساء علي أن يكون لها

فرع في الدمام بالمنطقة الشرقية . وتضم جامعة الملك فيصل الكليات التالية : كلية التربية ، كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية ، كلية الطب والعلوم الطبية ، كلية العلوم الزراعية والأغذية ، كلية العمارة والتخطيط (٢ ص ٣٨) .

الجامعة الإسلامية :

أنشئت في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) في المدينة المنورة للعناية بالدراسات الإسلامية والعربية ، وكانت أولي كلياتها كلية الشريعة ، ثم أنشئت بعدها كلية الدعوة وأصول الدين . وكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الحديث الشريف . ويأتي حوالي ٨٠٪ من طلاب هذه الجامعة من مختلف بقاع العالم الإسلامي (٢ ص ٢٥) .

ومعظم جامعات المملكة تسير على نظام الساعات المقررة . إلا أنه لا يزال يتبع النظام الفصلي مع عدم تطبيق نظام الساعات. كل من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

وسياسة القبول في الجامعات السعودية هي إتاحة الفرصة لأكبر عدد من الطلاب المتقدمين للدراسة ، بل إن بعض الجامعات تحاول التوسع في القبول إستجابة لشدة الطلب على الأماكن الدراسية . ويؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى عدم وجود توازن بين التخصصات المختلفة ، من حيث كثافة الالتحاق بكل منها ومدي الحاجة إلى خريجين . وحيث أن سياسة توظيف الخريجين جعلت قانون العرض والطلب لا يتحكم بالألتحاق حسب الحاجة إلى خريجي قسم أو أقسام معينة ، وإنما يجعل كثيرا منهم يحاول الحصول عل الشهادة الجامعية – لما لها من مكانة اجتماعية بالإضافة إلى الوظيفة المضمونة – من أيسر الطرق وأسرعها .

ثالثا : نظرة إلى المستقبل

تجارب الدول في قبول الطلاب :

قبل إلقاء نظرة إلى المستقبل ، وما أراه مناسبا لوضع التعليم وسياسة القبول في مؤسسات التعليم العالي في بلادنا ، من المفيد أن أشير إلى بعض أمثلة من نظم القبول في بعض الدول الأخرى ، عربية وأجنبية ذات الأنظمة التعليمية المختلفة ، وذلك لمقارنتها واستخلاص بعض المؤشرات منها :

١ – الولايات المتحدة الأمريكية :

تختلف أنظمة القبول في الولايات المتحدة الأمريكية من جامعة إلى أخرى ، فبينما تتشدد بعض الجامعات القديمة (خاصة الأهلية منها) في شروطها لتخفيف الضغط عليها ، نجد عددا من الجامعات الحديثة يتساهل في شروط القبول . ويمكن أن نقول إن أكثر الشروط إنتشارا هو ما يلي :

١ – الحصول على الثانوية العامة ، مع دراسة بعض الأساسيات .

٢ – دراسة الوحدات المتصلة بالتخصص الذي يريده الطالب .

٣ – النجاح في بعض الأختبارات لقياس قدرة الطالب في بعض النواحي .

٤ – بعض الشروط التكميلية ، مثل تقديم السجل الأكاديمي للمرحلة الثانوية ، بما يحمله من مؤشرات تساعد على إتخاذ قرار القبول (٤ ص ١٥).

٢ – المملكة المتحدة :

تكاد شروط القبول في معاهد التعليم العالي في المملكة المتحدة أن تكون متقاربة ، لولا بعض الإختلافات البسيطة من جامعة إلى أخرى . والشروط الأساسية هي :

١ – الحصول على شهادة الثانوية العامة (GCE) .

٢ – النجاح في المقررات الأساسية وعددها خمسة ، منها الإنجليزية والرياضيات والعلوم ، ولغة أجنبية (٤ ص ١٦) .

وحتى لا تأخذ الجامعة أكثر من كفايتها من الأعداد الكثيرة التي تتقدم إليها ، تجري مفاضلة بين المتقدمين على الأسس التالية :

أ – مجموع الدراجات في المواد الخمس الأساسية التي سبق ذكرها .

ب – خطابات توصية تتضمن تقدير إدارة مدرستهم لمستواهم التحصيلي .

جـ – اختبارات قدرات عن طريق المقابلة الشخصية أو غيرها .

وربما أضافت بعض الجامعات إلى ذلك أنشطة الطالب الثقافية أو الفنية أو الرياضية .

٣ – فرنسا :

أنواع التعليم العالي في فرنسا متعددة ، وكلها تتفق في اشتراط الحصول على ، البكالوري (الثانوية العامة) ، إلا في القبول بالتعليم العالي المتوسط ، فيجوز التغاض عن هذا الشرط . ثم يشترط كل نوع من أنواع التعليم الأخرى الشروط الخاصة به ، على النحو التالي :

أ – الجامعات الجديدة ، وتدرس فيها الآداب ، والعلوم الإنسانية والحقوق والعلوم الاجتماعية ، والعلوم ، والطب ، والصيدلة ، وهذه يتم القبول فيها حسب فرع الشهادة ، وهي غير محددة العدد ، ولكن الانتقاء يتم عن طريق الامتحانات في السنتين الأولى والثانية من الدراسة الجامعية .

ب – المؤسسات الجامعية العامة (العلمية والإدارية والثقافية) ومنها ما يطلق عليه اسم (المدارس العظيمة) . وهي تقبل الطالب حسب فرع الشهادة التي يحملها ، ودرجاته في البكالوريا ، أو بالمسابقة التي تختلف حدتها بحسب العدد الممكن قبوله . (المدارس العظيمة – مثلا – لا تقبل أكثر من ١٠٪ من المتقدمين إليها) .

جـ – بعض المؤسسات الجامعية الخاصة ، ذات الطابع الديني ، وشروطها تتركز حول هذا النوع من التعليم (٤ ص ١٧) .

٤ – الاتحاد السوفيتي :

أعداد الطلاب الذين يتقدمون إلى الجامعات والمعاهد العليا في الاتحاد السوفيتي مثلها مثل سائر الدول تقريبا ، أكبر من طاقة الجامعات والمعاهد العليا . ويشترط للقبول وتحديد الأعداد ما يلي :

أ – الحصول على الثانوية العامة ، ولدرجات الطالب فيها نصيب في المفاضلة .

ب – المسابقة بين المتقدمين ، وتختلف مواد الامتحان فيها بحسب نوع التخصص الجامعي المرغوب الالتحاق به .

جـ – تعطي أفضلية خاصة لمن تدربوا تدريبا عمليا في مجال التخصص في إحدى المؤسسات قبل تقدمهم للدراسة في الجامعات والمعاهد العليا .

هذا ويلاحظ أن نسبة الذين يقبلون للدراسة الجامعية ، أو ما يعادلها ، في الاتحاد السوفيتي لا تتجاوز ٢٥٪ من المتقدمين ، بل إن بعض الجامعات لا تقبل أكثر من ٤ ٪ في بعض الأحيان (٤ ص ١٧) .

٥ – تونس :

حتى لا ينصرف الطلاب جميعا إلى الدراسة الجامعية الأكاديمية ، تاركين التعليم الفني لا يجد من يدخله أو لا يوجد العدد الكافي لاحتياج البلد ، تحد تونس من الأعداد التي تقبل للدراسة الأكاديمية الجامعية ، وتكثر من قبول الطلاب في التعليم الفني . ولهذا تحدد نسبة معينة من المتوفقين هم الذين يسمح لهم بالالتحاق بالمسابقات الاكاديمية بالجامعات . ومن أجل الموازنة بين سد احتياجات البلد من الكفاءات المدربة أكاديميا وتلك المدربة من المهن المختلفة فقد وضع امتحان الثانوية كعنصر تصفية . بحيث لا يلتحق بالجامعات إلا المتفوقون وهم نسبيا قلة (٤ ص ١٠).

٦ – الأردن :

وتتبع الأردن عدة وسائل للحد من التحاق الطلاب بالتعليم الجامعي الأكاديمي ، ومن هذه الوسائل :

أ – تحديد نسبة قليلة من الحاصلين على الثانوية للالتحاق بالتعليم الأكاديمي الجامعي .

ب – إنشاء كليات المجتمع ، وهي كليات تقنية ، تفتح أبوابها لاستيعاب أعداد كبيرة من خريجي المدارس الثانوية ممن لم تتح لهم فرص الالتحاق بالجامعات (٤ ص ١٠) .

جـ – إدخال الحرف اليدوية في التعليم العام ، كمحاولة لجذب انتباه الطلاب لتلك الحرف ، ولاكتشاف الموهوبين الذين يمكن أن ينخرطوا في سلك المهن المختلفة .

من هذه التجارب لعدد محدود من الدول نستطيع أن نحدد الأسلوب الذي يمكن أن ننهجه من أجل ترشيد عملية القبول في الجامعات أو في مؤسسات التعليم الفني في المملكة العربية السعودية .

فحينما نتطلع إلى المستقبل ، ونريد أن نرسم صورة له ، لا بد أن تكون هناك سياسة نسير في

ضوئها ، ونمشي على هداها . وهناك تساؤلات مبدئية ، أحاول الآن عرضها :

– ما المكان الذي تحتله حاجة المجتمع في تعليمنا ؟ هل ترجح حاجته إلى الأيدي العاملة المدربة ، التي تسارع في تنمية ؟ أم ترانا نهتم بحاجة الفرد ، ونصرف النظر عن حاجة المجتمع ؟

ويمكن أن نورد هذا التساؤل بصيغة أخرى :

هل نتعلم من أجل العلم لذات العلم ؟ أم من أجل التنمية ؟ وماذا ترانا نفعل إذا تعارضت المصلحتان : مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ؟

– والجامعات والمعاهد العليا ، لماذا أنشئت ؟ هل هي لتخريج الموظفين ؟ أم هي لتخريج المتعلمين : سواء وجدت لهم وظائف أم لم توجد ؟ هل هي للخاصة ؟ أم لكل من أراد ؟ هل نترك أبوابها مفتوحة لكل من يريد ولوجها ؟ أم ننتقي ، ونوجه العدد الزائد إلى مؤسسات التعليم الفني ؟ وإذا كان لا بد من الأنتقاء فما هي الوسيلة الأمثل ؟ .

لا نستطيع أن نجيب على هذه الأسئلة وأمثالها ، إلا في ضوء سياسة مرسومة . ومن حسن الحظ أن (سياسة التعليم) في بلدنا محدده وواضحة ، وأنها تيسر علينا الإجابات على عدد من هذه التساؤلات .

فالمادة (١٥) من سياسة التعليم تنص على ما يلي :

(ربط التربية والتعليم في جميع المراحل بخطة التنمية العامة للدولة) .

والمادة (١٦) تنص على :

(التفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية ، في ميادين العلوم والثقافة والآداب ، بتتبعها والمشاركة فيها ، وتوجيهها ، بما يعود على المجتمع والإنسانية بالخير والتقدم) .

فإذا انتقلنا من سياسة التعليم إلى إستراتيجية خطة التنمية الرابعة على سبيل المثال فماذا نجد ؟ .

ينص الأساس الأستراتيجي الخامس ، علي (الاستمرار في تنميه القوي البشرية من خلال تقويم برامج التعليم ومناهجه ، والتدريب ، وإجراء التطوير الذي يتطلبه هذا التقويم ، أو التعديل اللازم ، بما يتفق والشريعة الإسلامية ، ويتلاءم وحاجات المجتمع المتغيرة ، ومتطلبات التنمية) .

وقد عددت الأساليب والوسائل التي يتحقق ذلك عن طريقها ومنها :

أ – تحديد النسبة المئوية لكل مرحلة بعد المرحلة المتوسطة بما يكفل توجيه الأعداد الأخرى للمعاهد الفنية المتخصصة .

ب – تقويم برامج ومناهج التعليم الجامعي ، ولا سيما فيما يتعلق بسياسة القبول .

جـ – قصر المكافآت التي تمنح للطلبة والطالبات على التخصصات التي يرى وضع حوافز لها ، ومن ذلك التعليم الفني والتدريب المهني .

د – ضرورة توافق التدريب مع احتياجات الاقتصاد الفعلية من ناحية النوعية ودرجة الكفاية .

وفي ضوء هذا كله أعتقد أننا لكي نحقق ما سبقت الإشارة إليه ، ومن أجل اللحاق بالتطور المادي الذي بلغناه ، والذي يتمثل في كثير من مظاهر التقدم التي تراها كل عين ... لا بد لنا من نظرة جديدة إلى أسلوب التعليم ، وطريقته في المملكة .

إن للمملكة وضعا فريدا ، لا يشترك معها فيه غيرها ولها أسس تستند إليها ، دون انتظار لشيء يأتي من خارجها . فالمملكة لها من السمات والخصائص ما يميزها عن غيرها من ذلك .

- اتساع رقعة المملكة - مثلا - والقلة النسبية في عدد السكان .

- تغير المفاهيم ، ووجود أنماط جديدة من الحياة والمعيشة ، هي خليط من أنماط مجتمعات مختلفة ومتباينة ، وذلك نتيجة للثراء المفاجيءالذي تنفرد به المملكة .

- التطور العمراني والصناعي والزراعي الفريد ، والسرعة الفائقة في تنفيذه إلى درجة لم يسبق لها مثيل في التاريخ كله .

- التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وجعل نمط الحياة مرتبطا بها ، غير منفك عنها ، الأمر الذي يميز حياة المملكة عن أنماط الحياة في غيرها ، من الدول غير الإسلامية ، ومن الدول الإسلامية التي لا تتقيد تماما بالشريعة الإسلامية .

- الموقع الاستراتيجي المميز للمملكة ، الذي يضعها في وضع يحتاج إلى مهارة فائقة في تصريف الأمور ، فبينما هي حريصة على المحافظة على شخصيتها واستقلالها وثرواتها ، تجد من الصعب عليها أن تقتصر في محاولتها العاجلة على جهود أبنائها وحدهم في تحقيق ذلك ، وتجد في نفس الوقت أنه ليس أمامها خيار ، وأنه لا بديل للعمل الذاتي الجاد المخلص في المدي البعيد .

- الاعتماد في تنفيذ كل شيء - حتى الآن - على الحكومة وقلة ما يسهم به المواطنون في تنفيذ الأعمال اللازمة .

- إنفراد المملكة بعدم تحصيل الضرائب - من أي نوع - في مقابل الخدمات التي تقدمها ، والتي تشمل كل نواحي الحياة .

ألا يجعل هذا كله مهمة ترشيد التعليم مهمة شاقة عسيرة ؟ قد نستطيع أن نشق الشوارع ، وأن ننشيء المطارات ، وأن نبني المساكن وأن نمهد الطرقات ، وأن نفعل كثيرا وكثيرا ، إذا ما توافرت السيولة النقدية ، ولكن : هل ينطبق ذلك على بناء الإنسان ؟ إن بناء الإنسان يحتاج إلى وقت ، بل إن هناك حدا أدنى لا يمكن بناء الإنسان في أقل منه .

ولهذا فأنني أرى أن يحدث تغيير جذري في أسلوب التعليم .

الهيكل التعليمي المقترح :

في رأيي أن مراحل التعليم الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، يجب أن يعاد توزيعها بحيث يكون كل منها أربع سنوات (بدلا من النظام الحالي) وهذا

يحقق مزايا متعددة ، أورد بعضها - هنا - على سبيل المثال :

فعلى المستوى الابتدائي يمكن :

١ - الاستفادة من العنصر النسائي في تعليم البنين في المرحلة الابتدائية مع التأكيد على فصل مدارس البنات عن مدارس الأولاد حتى في هذه المرحلة .

٢ - توجيه الرجال العاملين في التدريس والإدارة في التعليم الابتدائي إلى أماكن أخرى ، هي في أمس الحاجة إليهم .

٣ - إتاحة فرص أكبر للعمل أمام النساء ، لشغل الفراغ من جهة وللمساعدة في رفع الدخل للأسرة من جهة ثانية .

٤ - الأستفادة من غريزة الطفل ، حيث يتجه في السنوات العشر الأولى من عمره إلى الألتصاق بأمه .

٥ - تحقيق رغبة الأكثرية من المعلمين في المدارس الابتدائية ، الذين يلتحقون في الوقت الحاضر بوظائفهم مكرهين بنقلهم إلى وظائف أخرى أكثر جاذبية لهم . ولنتصور ماذا يفعل المكرهون ؟ .

ولا بد من توجيه مناهج التعليم بحيث تتجه نحو التطبيق بدلا من التركيز على التلقين والحفظ ، وإدخال بعض المهارات اليدوية التي يمكن أن ينميها التلميذ لتكون نواة لمهنة مستقبلية فيما لو أراد اختيار التعليم الفني بعد ، أو على الأقل يكون لديه مهارة تقلل من اعتماده على الآخرين في الصيانة البسيطة لمنزله .

التعليم المتوسط :

يتطلب الأمر - في التعليم المتوسط - إدخال بعض المواد الأساسية التي تنمي لدي التلميذ في هذه المرحلة حب العمل ، والمساعدة على اكتشاف بعد المواهب الكامنة لديه ، فربما قادة ذلك إلى الاتجاه إلى المجال الفني بعد المرحلة المتوسطة مباشرة . وفي هذه تحقيق لما تنص عليه استراتيجية خطة التنمية الرابعة ، حيث تتطلب أن تضمن مناهج التعليم في المراحل الدراسية بعد الابتدائية مبادىء عامة تساعد الأفراد على القيام بمتطلبات الصيانة البسيطة .

ويتطلب الأمر في التعليم المتوسط كذلك ، تغييرا جذريا في أساليب التعليم المتبعة ، التي بنيت أساسا على التلقين ، وعلى اعتبار أن المدرسة هي المصدر الوحيد للمعلومات .. بينما أصبح ينافسها الآن كثير من وسائل الإعلام والأتصال ، ومن بينها التليفزيون بصفة خاصة ، حيث ترسخ كثير من المعلومات في أذهان التلاميذ نتيجة مشاهدتها على شاشة التليفزيون ، وطريقة عرضها المشوقة .

التعليم الثانوي :

والتعليم الثانوي - أيضا - يتطلب إدخال تطوير جذري فيه ، باتباع أساليب مختلفة عن الأساليب الحالية ، تتمشى مع المتغيرات التي أشرنا إليها . ومن هذه الأساليب المقترحة :

- زيادة التخصصات ، وتعددها أمام التلاميذ ليختاروا منها .

– مرونة الأنتقال من تخصص إلى آخر ، حتى نقلل من (الفاقد) الذي هو ثمين – وإن قل – .

– مرونة التحول من برنامج إلى آخر ، بحيث يذهب من يجد أنه أخطأ الاختيار إلى البرنامج الآخر بسهولة ، بما في ذلك التحول من البرامج الاكاديمية إلى الفنية .

– إدخال مقررات جديدة ، كانت تعتبر من مواد الرفاهية في الماضي ، ولكنها أصبحت في الحاضر أساسية ، كالرياضيات – والحاسب الآلي – والتربية الوطنية والمحافظة على البيئة ، ومعرفة كيفية التعامل مع أنظمة وأساليب استعمال الطريق العام مثلا ، وبعض الأساسيات التقنية .

– إيجاد تنسيق وتكامل بين مؤسسات التعليم العام ، ومؤسسات التعليم الفني حتى لا يكون التنقل فيما بينها صعبا أو غير محبب . ولست مغاليا إذا قلت بأنها يجب أن تقترب من بعضها ، اقترابا مكانيا ، إذا لم يكون في المستطاع أن تكون في مكان واحد .

– إيجاد تعاون أوثق بين مؤسسات التعليم الثانوي ، ومؤسسات التعليم العالي بحيث تصبح مناهجها متناغمة ، يكمل بعضها بعضا .

وهذا التقسيم المقترح لمراحل التعليم يشجعه تقارب أعمار من يكونون في أي مرحلة من مراحلها .

وأنتهز هذه المناسبة لأشير إلى أن الأزدواجية في الإشراف على التعليم تكثير من فرص الخطأ ، بالإضافة إلى ما فيها من تبذير في الأيدي العاملة ، وإهدار للجهود .

فلعل المستقبل القريب يأتينا بجهود تنسيقية مفيدة تقلل من إهدار الكفاءات البشرية اللازمة لإدارة وتشغيل هذه المؤسسات المتعددة .

التعليم العالي :

ولي زمن الأبراج العاجية التي كانت الجامعات تحصر نفسها فيها ، وأصبح لزاما علي مؤسسات التعليم العالي أن تدرس حاجات البلاد الفعلية ، وأن تعمل جاهدة على الأستجابة لها ، وسدها . وهناك أمور بدهية ينبغي ألا تغيب عن بال أحد ، وليس في تصورها ، والأعتراف بوجودها ، والتصرف طبقا لها ، ما يعيب أحداً ، أو يقلل من أهمية الموضوع الذي يتصل بها ، ومن ذلك :

– البرامج التي تصلح لأحد البلدان ، ليس بلازم أبدا أن تصلح لغيرها . وعلى سبيل المثال : كيف يصلح لبلد مثلنا يحتاج إلى الأيدي العاملة ما يصلح – مثلا – لبلد كالشقيقة مصر ، المشبعة بالأيدي العاملة ؟ .

– والبرامج التي تقدم في بلد صناعي متقدم كانجلترا – مثلا – كيف تصلح لنا ، إلا بعد تعديل يتفق مع احتياجاتنا وظروفنا ؟ .

– والولايات المتحدة الأمريكية ، تلك الدولة المرفهة ، المتقدمة في الأساليب التكنولوجية والنهضة العلمية ، كيف يمكن أن ندرس برامجها دون تعديل منطقي يساير مجتمعنا وظروفنا ؟ .

وهكذا نرى أن ما يصلح لبلد كائنا ما كان ليس بالضرورة صالحا لبلد غيره .

وإذا نظرنا إلى برامج المؤسسات التعليمية العالية الحالية ، لوجدناها نوعا من البرامج التقليدية النمطية ، التي قد تفيد بلاداً متقدمة ، لا تواجهها مشكلات التنمية التي تواجهنا .

ولأكن صريحاً في مواجهة الواقع ، حتى يمكن وضع اليد تماما على الوسائل المفيدة التي يمكن الأخذ بها في تعليمنا العالي :

– بعض جامعاتنا نسخة منقوله عن التجربة المصرية ، مع بعض التعديل الطفيف ، وليس من المساس بمصر في شيء ، ولا بجامعاتها ان أقرر أن هذا لا يكفي لسد حاجة مجتمع ، يختلف في تركيبه وحاجاته عن المجتمع المصري .

– بعض الأقسام في الجامعات منقول عن تجربة أمريكية ، تختلف أبعادها عن أبعاد مشكلاتنا بل ربما كانت منافية لها .

– وبعض الجامعات وبعض الأقسام – أيضا – إنما هي نمط منقول عن تجربة إنجليزية ، مع إختلاف الظروف في البلدين .

الحل الذى أراه مناسبا لظروف هذا البلد هو أن نقوم بالاستفادة من تجارب الآخرين بالقدر الّذي يخدم أغراض هذا المجتمع المختلف في تركيبه عن المجتمعات الأخرى .

يجب أن ندرس المهندسين ، في كليات الهندسة ، نظريات الهندسة العالمية ومدى استفادتنا من تلك النظريات مع تعديلها بما يناسب ظروف الجو بالصحراء ، المتسم بالجفاف وشدة الحرارة ، مع توقع الرطوبة في أيام معدودة جدا من السنة .

وأن ندرس أطباء المستقبل الأمراض العالمية وطرق علاجها ولكن يجب أن نركز على أمراض المناطق الحارة الجافة أو أي أمراض متوطنة في بلادنا .

في مجال الأعداد الإعلامي كمثل آخر يحسن بنا أن ننحو منحا مختلفا عن ما ينحوه الآخرون حيث أن لنا – إلى جانب حاجتنا إلى التقنية الصالحة ، أنماطاً ونظماً وعادات وتقاليد تختلف عما يصلح للآخرين وهذا يتطلب إعدادا خاصا للمؤهلين في هذا الميدان يراعى ظـروف واحتياجات بلادنا .

يجب أن نعد مدرسي المرحلة المتوسطة والأبتدائية إعدادا عاما بحيث يستطيع أحدهم أن يدرس عدة مواد بدلا من التركيز على التخصص في مادة واحدة ، فمقررات الابتدائي والمتوسط تكاد معلومات عامة لا تحتاج إلى التخصص .

يجب أيضا أن نجنح إلى التطبيق في معظم مجالات الإعداد خاصة في التعليم العالي . فالتطبيق أقرب إلى الفعالية حين الأستفادة من خريجي الجامعات لأن أي وقت يضيع في التدريب بعد ذلك هو وقت ثمين يجب أن لا نهدره .

كل هذا يدعو إلى إعادة النظر في برامج التعليم العالي التي اقتبسناها من غيرنا ، من غير أن نحور فيها أو بأقل قدر من التحوير .

ولست بهذا أنكر فضل الذين اجتهدوا وأتوا بهذه الأنواع من التجارب وأنهم قوم مخلصون ، ودوافعهم طيبة ، ولكنني أقول ان البرامج الملائمة

إنما تأتي نتيجة للحاجات والاستجابة لها . ولا يفوتني أن أدعو إلى ترشيد القبول في التعليم العالي وترشيد الحوافز بحيث تكون تلك الحوافز للتفوق ولسد احتياج لا يسده إلا وجودها .

ولا أدعى بذلك أنني (أتيت برأس غليص) كما يقول المثل الشعبي ولكنني أدعي الاجتهاد في مجال أعرف قدرا بسيطا عنه .

وبالله التوفيق

المراجع

١ – المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم – إدارة التربية – التعليم العالي في الوطن العربي – المؤتمر الأول للوزارة المسئولين عن التعليم العالي في الوطن العربي – الجزائر – مايو ١٩٨١م .

٢ – الدكتور عبد الله محمد الزيد – التعليم في المملكة العربية السعودية – الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .

٣ – الدكتور عبد العزيز البسام – أسس القبول في التعليم العالي وسياساته وأتجاهات تطوير أساليبه – تونس ١٩٨٣م .

٤ – الدكتور مصطفى حداد – واقع سياسة الألتحاق بالتعليم العالي في الوطن العربي والمشكلات الناجمة عنه – تونس ١٩٨٣م .

٥ – الدكتور عبد العزيز البسام – واقع التعليم العالي في الوطن العربي – تونس ١٩٨٣م .

٦ – عبد الوهاب أحمد عبد الواسع – التعليم في المملكة العربية السعودية – دار الكتاب العربي – بيروت .

٧ – الدكتور شكري فيصل – خطوات تنفيذ التعريب – تونس ١٩٨٣م .

٨ – لجنة التضامن العربي والتعاون الفني – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٨٣م .

٩ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – التقرير النهائي – المؤتمر الثاني للوزراء المسئولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي – تونس ١٩٨٣م .

١٠ – وزارة التخطيط السعودية – أستراتيجية خطة التنمية الرابعة ١٤٠٤هـ .

١١ – وزارة المعارف السعودية – السياسات العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية .

١٢ – وزارة المعارف السعودية – أحصاءات التعليم في المملكة العربية السعودية – ١٤٠٠/١٤٠١هـ – العدد (١٤) .

١٣ – وزارة التعليم العالي . التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) .

مِنَ الكُتُبِ الوَارِدَةِ حَدِيثاً

لِدَارِ الجوفِ لِلعُلُوم

إعـــداد

قسم التزويد بالدار

كغيرها من المكتبات العامة تقوم دار الجوف للعلوم بعملية التزويد المستمرة لأوعية المعلومات المطبوع منها وغيرها المطبوع وذلك عن طريق **أربعة مصادر معروفة وهي** :

- الشراء (الأختيار من بين الموجود من كتب جديدة) .
- الإيداع القانوني (وهذا النظام بدىء بالعمل به بالمملكة منذ فترة وجيزة) .
- التبادل مع المكتبات الأخرى محليا وعربيا ودوليا .
- الهدايا من وإلى المكتبات الأخرى .

ويسر القسم أن يقدم في هذا العدد بعضا من الكتب الواردة للدار حديثا على أن يقوم القارىء الكريم بمراجعة فهارس الدار والقوائم البيليوجرافية الموضوعية العربية والأجنبية التي تصدرها تباعا والشاملة حتى الآن لأكثر من ١٠,٠٠٠ عنواناً تشتمل على ٥٠,٠٠٠ مجلد تغطي المعارف العامة والديانات والعلوم الاجتماعية واللغات والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية والفنون الجميلة والآداب والتاريخ والجغرافيا والتراجم وفقا لخطة تصنيف ديوي العشري المعدلة المستخدمة في الدار .

آملين أن يجد القراء الأعزاء في هذه المجموعة المختارة ما يفيدكم ويمتعهم من خلالها ومن خلال مجموعات الكتب والمخطوطات والدوريات والوسائل السمعية والبصرية والألكترونية الأخرى المتوفرة حاليا بالدار .

مع تمنياتنا للجميع بالخير والنجاح

الابتكار والتنظيم في الأعمال الإدارية والسكرتارية

تأليف

سعيد عامر

الرياض : مطابع الشرق الأوسط ١٤١٠هـ

١١٦ ص

يبدأ المؤلف كتابه بإهدائه إلى كل طالب على عتبة التخرج وإلى كل موظف إداري وسكرتير إلى كل صاحب شركة أو مدير يرغب في أن يكون مرؤوسه مثالا في الابتكار والتنظيم ويحتوي الكتاب الموضوعات التالية على التوالي :-

المقدمة – ميزات الموظف الناجح (اللباقة الاجتماعية وحسن المظهر) – الرد على المكالمات الهاتفية – البريد – إستقبال الزوار – تنظيم المواعيد – تنظيم قاعة الاجتماعات – المصاريف الشهرية – الأعداد لسفر المدير للخارج – ترتيب الملفات – إملاء الرسائل – ترتيب المكتب وأهميته – استخدام أجهزة الفاكس والتلكس وفتح ملفات داخل الكمبيوتر .

وفي نهاية الكتاب يضع المؤلف أسماء معظم الكلمات التي يحتاجها السكرتير داخل مكتبه باللغة الإنجليزية ، وكذلك بعض المختصرات المفيدة والمتعارف عليها دوليا ، وكذلك كيفية نطق أحرف الأسماء المتعارف عليها دوليا في الحجوزات باللغة الإنجليزية ، كما يستعرض للعمل في شؤون الموظفين وطريقة حفظ الملفات .

التمثيل الدبلوماسي والقنصلي
بين المملكة العربية السعودية والعالم الخارجي

تأليف

طلال محمد نور

الرياض : مطابع الفرزدق ١٩٨٩م

٢١٦ ص

لقد عرفت المملكة العربية السعودية التمثيل الدبلوماسي والقنصلي منذ تولى جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مقاليد الحكم في البلاد كلها .

وتبوأت المملكة العربية السعودية مكانة مرموقة في المحافل العالمية ، والأوساط الدولية بأعتبارها من الدول القلائل في العالم التي كانت ولا زالت تلتزم بالشريعة الإسلامية السمحة في كل ما يتعلق بصلاتها وعلاقاتها وروابطها مع دول العالم الخارجي حتى أصبحت مضرب المثل في دبلوماسيتها الخارجية نتيجة للسياسة الحكيمة الواعية التي تنتهجها مع شعوب وحكومات ودول العالم بأسره .

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي :

القسم الأول : ما هية التمثيل الدبلوماسي والقنصلي .

القسم الثاني : التمثيل الدبلوماسي والقنصلي للمملكة العربية السعودية في العالم .

القسم الثالث : التمثيل الدبلوماسي والقنصلي العالمي في المملكة العربية السعودية .

ويتلى ذلك عدد من الملاحق الخاصة بأتفاقيات تتصل بالعلاقات الدبلوماسية والبروتوكولات اللازمة وكذلك بنظام وزارة الخارجية السعودية .

المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي

تأليف

عبد الله الأشعل

جدة : دار الأصفهاني للطباعة ١٩٨٩م

١٥٩ ص

يتناول الكتاب كما ورد في مقدمته دور المملكة العربية السعودية بوصفها كانت من أهم أطراف النظام الأقليمي العربي منذ الحرب العالمية الثانية ، ثم ازدادت هذه الأهمية خلال الخمسينات ، وتطورت جوانبها منذ نكسة ١٩٦٧م .

ويقول المؤلف أن هذه الدراسة تهدف إلى تسجيل وتحليل سياسة المملكة العربية السعودية تجاه واحد من أهم قضايا الوجود العربي وهي الصراع العربي الصهيوني حيث أصبح للمملكة في هذا الصراع اهتمام ملموس ثم دور بارز ، ثم مبادرات ، وحيز لا يمكن تجاهله ، وذلك خلال تطورات مراحل الصراع ، وما أكتنف هذه المراحل من عوامل إقليمية وعالمية بلا شك في ثنايا هذه السياسة . ولئن تغيرت اتجاهاتها ووسائلها والعوامل المعدلة لمسارها ، فإن المبادىء التي تنطلق منها هذه السياسة ، والأهداف التي تتوخاها ثابتة لا تتغير ...

ويشتمل الكتاب على الفصول الست التالية :

الفصل الأول : ويتحدث فيه المؤلف عن الجذور التاريخية للموقف السعودي من الصراع (مرحلة الملك عبد العزيز) .

الفصل الثاني : مراحل الصراع العربي الإسرائيلي واتجاهات الموقف السعودي .

الفصل الثالث : دوافع الموقف السعودي في الصراع وأهم خصائصه .

الفصل الرابع : أطوار الموقف السعودي في الصراع .

الفصل الخامس : مجالات الموقف السعودي في الصراع .

الفصل السادس : الإعلام والموقف السعودي في الصراع العربي الصهيوني .

وفي نهاية الكتاب يضع المؤلف ملحقين هامين الأول عن مجموعة الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز حول القضية الفلسطينية ، والثاني عن مشروع الملك فهد ومشروع فاس .

دراسات جدوى التقنية الاقتصادية للمشاريع الصناعية ومدخلها الإسلامي

تأليف
حيدر طرابيشي

دمشق : دار قتيبة ١٩٨٨م
٤٤٣ ص

يحتوي الكتاب كما ورد على غلافه دراسة شاملة لصناعة عربية تتكامل فيها وترفدها صناعات متنوعة أساسها ومنطلقاتها تنمية وتطوير القوى العاملة والهياكل الأساسية على المستوى المحلي والقومي .

وينقسم الكتاب إلى أحد عشر فصلا يبدأ الفصل الأول منها بدراسة جدوى اقتصادية المشروع ويليه الفصل الثاني ليتحدث فيه المؤلف عن البرمجة والجدولة والتخطيط للتنفيذ وينتقل في الفصل الثالث إلى دراسة الجدوى والتقنية الاقتصادية ، ثم دراسة السوق في الفصل الرابع .

أما الفصل الخامس فيستعرض فيه المؤلف المواد الأولية والمدخلات ، وفي الفصل السادس دراسة هندسية المشروع الصناعي .

في الفصل السابع يتناول اختيار الموقع وفي الفصل الثامن تمويل المشروع ، وفي الفصل التاسع التحليل والتقييم المالي والاقتصادي . ويلي ذلك الفصل العاشر الذي أفرده المؤلف لمنظومه الجداول والتعاريف المحاسبية والاقتصادية .

وأخيرا يأتي الباب الحادي عشر بعنوان المدخل الإسلامي في دراسات الجدوى التقنية الاقتصادية للمشاريع .

وفي نهاية الكتاب يضع المؤلف مثالا لدراسة مشروع جدوى تقنية اقتصادية بالطريقة التقليدية ثم يعطي مثالا آخر دراسة جدوى تقنية اقتصادية بالطريقة الإسلامية وذلك من ص ٤٠٧ إلى ٤٣٥ .

الإتصال الجماهيري، مدخل

تأليف | ترجمة
جون ر. بيتنر | الدكتور عمر الخطيب

بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧
٥٤١ ص

يحتوي الكتاب على سبعة عشر فصلا تبدأ بالفصل الأول الذي يستعرض فيه المؤلف ما هية الأتصال الجماهيري ونشأته والأطار الاجتماعي للأتصال الجماهيري ووسائله . ثم ينتقل إلى الصحف وخصائصها وبداية ظهورها وكيفية تجميع الأخبار في القرن العشرين ، والإعلان في الصحف ، ثم المؤسسات التوسعية والشركات المختلطة وإيجابياتها وسلبياتها .

وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن المجلات ونشر المجلات الحديثة والجمهور المتخصص كذلك خصائص وأنواع المجلات وتسويقها .

أما الفصل الرابع فيلقي فيه المؤلف الضوء على موضوع نشر الكتب وترويجها والنشر الأقليمي .

وفي الفصل الخامس يستعرض المؤلف دور الراديو في الأتصال الجماهيري مبتدئا بميلاد اللاسكي ومرورا بمرحلة النضج ودور المنافسة في الراديو التجاري وكذلك الشبكات المختلفة للراديو وتأثيره ومستقبله .

وفي الفصل السادس يتحدث المؤلف عن التليفزيون وتطوره منذ بداية وكذلك الصحافة التليفزيونية والأذاعة العامة وتأثيره على الجماهير وكذلك الرؤية المستقبلية له .

أما الفصل السابع فيعرض المؤلف فيه للتصوير الصحفي وأوائل التقارير المصورة والمجلات والصور الفوتوغرافية الوثائقية .

وفي الفصل الثامن يعرض المؤلف لدور الأفلام السينمائية في الأتصال الجماهيري بادئا من الحقبة الصامته للسينما ومستعرضا لإيصال الصوت للفيلم ومنتهيا إلى أفلام الكرتون وتقدمها .

ويفرد المؤلف فصلا خاصا عن الصوت وصناعة التسجيل والأسطوانات والشرائط وتكاليف الأنتاج

والترويج والتوزيع ... الخ ، وهو الفصل التاسع من الكتاب.

كذلك في الفصل العاشر يعطي المؤلف معلومات هامة عن الإعلان والعلاقات العامة ووظائف وكالات الإعلان ، أما الفصل الحادي عشر فيتحدث عن أخبار وسائل الاتصال الجماهيري يليها أنظمة توصيل أجهزة الاتصال في الفصل الثاني عشر، ثم الخدمات السلكية واللاسلكية ومؤسسات بيع المواد الإعلامية والشبكات في الفصل الثالث عشر.

ثم يبين المؤلف في الفصل الرابع عشر التحكم التنظيمي بالاتصال الجماهيري ، وفي الفصل الخامس عشر يبين المسائل القانونية والصحافة العاملة ، وفي الفصل السادس عشر يلقي الضوء على الجمهور وتأثيرات الاتصال الجماهيري.

ويختتم المؤلف كتابه باستعراض أخلاقيات أجهزة الاتصال والقضايا الاجتماعية .

تطوير نظم معلومات الحاسب الآلي
تحليل وتصميم

تأليف/ ميشيل بورز وآخرين　　　ترجمة/ ابراهيم عبد السلام ومحمد زين الدريني

الرياض : معهد الإدارة العامة ١٤٠٨هـ

٨٦٣ ص

ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام رئيسية تتناول الموضوعات التالية :

القسم الأول : ويتحدث بعد إعطاء نظرة عامة على الغرض من التطوير والإنجازات المحققة عن بيئة تطوير النظم ودورة حياة تطوير النظم .

القسم الثاني : ويلقي فيه المؤلفون الضوء على طور الاستقصاء من حيث الأهداف ، النشاطات الاستقصاء الأولى وتجمع المعلومات ، دراسة الجدوى ، عملية ومنتجات التحليل ، التحليل على أساس نسبة التكلفة إلى المنفعة - الاتصالات .

القسم الثالث : يتحدث عن مراجعة النظام القائم وإعداد نماذج للنظام الجديد ومعرفة متطلباته وتصميم المخرجات والمدخلات ، والتحليل المنطقي للبيانات وتصميم النظام الجديد والملفات وكذلك تصميم الرقابة الاعتيادية وتخطيط التطبيق والتشييد .

القسم الرابع : وفيه يسرد المؤلفون أطوار التطبيق والتشييد والمراجعة مثل طور التصميم التفصيلي والتطبيق والتشييد وإدارة المشروع وتحليل النظم وتقويم المشروع . مع ملحق لحالة دراسية حوارية .

وفي نهاية الكتاب هناك مسرد بالمصطلحات الأساسية مع شرح لها .

مُلوِّثاتُ البِيئَةِ
أضرارها ومصادرها وطرق مكافحتها

تأليف/ د. محمد بن ابراهيم الحسن
د. ابراهيم بن صالح المعتاز

الرياض : مكتبة الحريجي ، ١٩٨٨ م
١٦١ ص

يشتمل الكتاب على سبعة فصول تتحدث عن ملوثات البيئة على الوجه التالي :

الفصل الأول : يتحدث فيه المؤلف عن ملوثات الهواء .

الفصل الثاني : عن الملوثات الناتجة عن عوادم السيارات .

الفصل الثالث : يعرض لملوثات الماء وكيفية الحصول على ماء الشرب .

الفصل الرابع : عن التلوث الناشيء عن المخلفات السائلة والصلبة .

الفصل الخامس : المبيدات وأثرها على تلوث البيئة .

الفصل السادس : يلقي الضوء على الحروب وأثرها على التلوث .

الفصل السابع : يستعرض المؤلف فيه موضوع تلوث البيئة بالمواد المشعة .

وهذا ويشتمل الكتاب في نهايته على الجدول الدوري للعناصر.